

الأصول الثلاثة

لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله



إعداد:

كريم إمام

شرحُ الأصولِ الثلاثةِ

للعلامةِ محمدِ بنِ عبدِ الوهابِ

إعدادُ

كريـــمِ إمــامٍ



الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م







مقدمةُ الشارحِ

الحمدُ للهِ والصلاةُ والسلامُ علىٰ رسولِ اللهِ؛ وبعدُ:

متنُ الأصولِ الثلاثةِ للإمامِ محمَّدِ بنِ عبدِ الوهابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ منَ المتونِ المباركةِ؛ فهو علىٰ صغرِ حجمِهِ إلا أنه احتوىٰ علىٰ مسائلَ كثيرةٍ وعظيمةٍ شملتْ أبوابًا كثيرةً من أبوابِ العلمِ، وعلىٰ رأسِها وأهمُّها بابُ الاعتقادِ.

لا سيما الأصولُ الثلاثةُ التي سوف يُسْأَلُ عنها العبدُ في قبْرِه، وهي أصولٌ لا ينبغي أنْ يفوتَ تعليمُها المسلمَ، ولا يسعُ جهلُها بأيِّ حالٍ.

وبينَ يديكم شرحٌ مختصرٌ، تعليقاتٌ موجزةٌ جمعتُها من بطونِ كتبِ علمائِنا الأفاضل، معَ تصرُّفٍ شديدٍ.

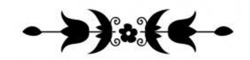
واللهَ أسألُ أنْ ينفعَ به وإنْ يغفرَ للشيخِ محمدِ بنِ عبدِ الوهابِ، وأنْ يتقبلَ منا ومنه.

أخوكم/ كريمُ إمامٍ

قارئٌ وكاتبٌ في العقيدةِ ومقارنةِ الأديانِ

مسلمٌ سنيٌّ، لا أنتمي لأيِّ حزبٍ أو جماعةٍ

للتواصل واتس آب ٢٥٥٧٦٦٩٩٠٠٤٤+





نبذةٌ مختصرةٌ عنْ صاحبِ المتنِ

«الإمامُ محمدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ»

هو الشيخُ محمدُ بنُ عبدِ الوهابِ بنِ سليمانَ التميميُّ النجديُّ الحنبليُّ، في أرضِ الحجازِ ولدَ ونشأَ في العيينةِ (بنجدٍ) (١١١٥هـ - ١٧٠٣م)، ورحلَ مرتين إلىٰ الحجازِ، فمكثَ في المدينةِ مدةً قرأَ بها علىٰ بعضِ أعلامِها، وزارَ الشامَ، ودخلَ البصرةَ فأوذيَ فيها، وعادَ إلىٰ نجدٍ، فسكنَ (حريملاءَ)، وكانَ أبوه قاضيَها، ثم انتقلَ إلىٰ العيينةِ، ناهجًا منهجَ السلفِ الصالحِ، داعيًا إلىٰ التوحيدِ الخالصِ ونبذِ البدعِ وتحطيمِ ما علقَ بالإسلامِ من أوهامٍ.

وارتاحَ أميرُ العيينةِ عثمانُ بنُ حمدِ بنِ معمرٍ إلىٰ دعوتِه فناصرَه، ثم خذلَه، فقصدَ الدرعيةَ (بنجدٍ) سنةَ ١١٥٧هـ، فتلقاه أميرُها محمدُ بنُ سعودٍ بالإكرامِ، وقبِلَ دعوتَه وآزرَه كما آزرَه مِنْ بعدِه ابنُه عبدُ العزيزِ ثم سعودُ بنُ عبدِ العزيزِ، لم يعجبْ هذا أعداءُ الإسلامِ في الداخلِ والخارجِ؛ فشنوا حربًا شرسةً عليه وعلىٰ أولادِه وأحفادِه ومَنِ اتبعَهم، واتسعَ نطاقُ ملكِهم فاستولوا علىٰ شرقِ الجزيرةِ كلِّه، ثم كانَ لهم جانبٌ عظيمٌ مِنَ اليمنِ والبحرين، وملكوا مكةَ والمدينةَ وقبائلَ الحجازِ.

وقاربوا الشامَ ببلوغِهم (المزيريبَ)، وقد جهرَ بدعوتِه سنةَ ١١٤٣هـ (١٧٣٠م)، وكانتِ الشعلةُ الأولىٰ لليقظةِ الحديثةِ في العالمِ الإسلاميِّ كلِّه،




تأثرَ بها رجالُ الإصلاحِ في الهندِ ومصرَ والعراقِ والشامِ وغيرِها، وعُرِفَ من والاه وشدَّ أزرَه في قلبِ الجزيرةِ بأهلِ التوحيدِ، وسماهم خصومُهم بالوهابيين، وأخطأَ بعضُهم فجعلَها مذهبًا جديدًا في الإسلامِ، وكانتْ وفاتُه في (الدرعيةِ) تقريبًا سنةَ (١٢٠٦هـ - ١٧٩٢م)، وأحفاده اليومَ يعرفون ببيتِ (آلِ الشيخِ).

وشهدَ له المستشرقون وأعداءُ الدينِ بأنه أرادَ الرجوعَ إلىٰ عصرِ النبيِّ ﷺ في المنهجِ والعقيدةِ.

لمعرفةِ المزيدِ عن الإمامِ ودعوتِهِ اقرأْ ما كتبَه عنه الشيخُ محمدُ إسماعيلَ المقدم في كتابِ «خواطرُ حولَ الوهابيةِ»، وكتابَ ترجمةِ الإمامِ محمدِ بنِ عبدِ الوهابِ للشيخِ عمرَ الأشقرِ.







التعليقاتُ على متنِ الأصولِ الثلاثةِ

قالَ الإمامُ محمدُ بنُ عبدِ الوهابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ): الباءُ للاستعانةِ.

الاسمُ: لفظٌ جعلَ علامةً علىٰ مسمًّىٰ يعرفُ به ويتميزُ عن غيرِه.

اللهُ: علمٌ علىٰ الباري جلَّ وعلا المألوهِ المعبودِ الغنيِّ عن التعريفِ.

الرحمنُ: اسمٌ وصفةٌ للهِ، ومعناه: صاحبُ الرحمةِ الواسعةِ العظيمةِ.

الرحيمُ: اسمٌ وصفةٌ للهِ، ومعناه: صاحبُ الرحمةِ الدائمةِ الواصلةِ للمرحومين.

ومعنىٰ البسملةِ: أي أبتدئ عملي متبركًا ومستعينًا باللهِ.

وقولُه: (اعلمْ)؛ فعلُ أمرٍ؛ أي تعلمْ يا طالبَ العلمِ، وقالَها لجذبِ الانتباهِ، والعلمُ من أحبِّ الأعمالِ إلىٰ اللهِ، وبالعلمِ نرفعُ الجهلَ عن أنفسِنا، ونعبدُ اللهَ علىٰ بصيرةٍ.

وقولُه: (رحمَكَ اللهُ)؛ دعاءٌ بالرحمةِ والمغفرةِ، وهذه شفقةٌ منه وتلطف، وهي صفةٌ من صفاتِ الشيخِ المربِّي المعلمِ، بجانبِ أن يكونَ سليمَ العقيدةِ والمنهجِ ومزكًّىٰ منَ العلماءِ الثقاتِ.

وقولُه: (أَنَّهُ يجبُ علينا)؛ أي فرضٌ علينا نحن المكلفين، ولم يقلْ: يجبُ عليك؛ لتواضعِه وتسهيلِه علىٰ القارئِ.

وقولُه: (تَعَلُّمُ أربعِ مسائلَ)؛ ويقصدُ العلمَ والعملَ والدعوةَ والصبرَ،




وهي علىٰ الحقيقةِ تشملُ الدينَ كلَّه.

وقولُه: (**الأُولىٰ: العِلْمُ**)؛ والعلمُ نقيضُ الجهل، وهو معرفةُ شرعِ ربِّنا بالأدلةِ الصحيحةِ والفهمِ السليمِ، والأدلةُ هي القرآنُ والأحاديثُ الصحيحةُ، والفهمُ السليمُ يكونُ بفهمِ الصحابةِ رضوانُ اللهِ عليهم والتابعين ومَنِ اتبعَهم بإحسانٍ، لا سيما العلماءَ الربانيين من المتقدمين.

وحكمُه: إما فرضُ عينٍ أو فرضُ كفايةٍ، والعقيدةُ تعلمُها فرضُ عينٍ علىٰ كلِّ المسلمين.

وقولُه: (**وهوَ معرفةُ اللهِ**)؛ معرفة تستلزمُ قبولَ ما شرعَه، وتنفيذَ أمرِه، واجتنابَ نواهيه، وتحكيمَ شريعتِه.

ومعرفةُ اللهِ تكونُ بالآياتِ الشرعيةِ كتابٍ وسنةٍ علىٰ يدِ شيخٍ؛ لقولِه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩].

وأيضًا بالآياتِ الكونيةِ بالتفكرِ في خلقِ اللهِ وقراءةِ كتبِ تعزيزِ اليقينِ؛ كإعجازِ القرآنِ وصحةِ النبوةِ وغيرِهما.

ومعرفةُ اللهِ ليسَت بالعقلِ فقط كما يقولون، فالعقلُ بدونِ علمٍ كالطريقِ المظلمِ، وأكبرُ شاهدٍ عقلاءُ العالمِ من اليابانِ والصينِ وغيرِهما ماذا يعبدونَ؟!

وقولُه: (**ومعرفةُ نبيِّهِ**)؛ معرفةٌ تستلزمُ قبولَ ما جاءَ به من الهدىٰ، وتصديقَه، وتنفيذَ أمرِه، واجتنابَ نواهيه، وتحكيمَ شريعتِه، ومعرفةُ الرسولِ ﷺ تكونُ من خلالِ القراءةِ في كتبِ السيرةِ النبويةِ.

وقولُه: (**ومعرفةُ دينِ الإسلامِ**)؛ معرفةٌ تستلزمُ العملَ به والدعوةَ إليه،






ودينُ الإسلامِ علىٰ وجهِ الخصوصِ هو ما جاءَ به نبيُّنا محمدٌ ﷺ من قرآنٍ وسنةٍ، وهو الدينُ الناسخُ لما قبلَه، وهو الحقُّ؛ لقولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آلُ عمرانَ: ١٩]، ومعرفةٌ تكونُ بدراسةِ علومِ الشريعةِ، وأهمُّها العقيدةُ والفقهُ والتزكيةُ علىٰ يدِ شيخٍ ثقةٍ.

وقولُه: (بالأدلةِ)؛ جمعُ دليلٍ، وهو ما يوصلُ إلىٰ المطلوبِ، وأدلةُ العقيدةِ: قرآنٌ وسنةٌ صحيحةٌ وإجماعٌ قطعيٌّ، وهذا شرطٌ؛ إذ لا يجوزُ الكلامُ في العقيدةِ بغيرِ دليلٍ، ولا يجوزُ التفلسفُ ولا الاجتهادُ ولا الدليلُ العقليُّ المحضُ؛ لقولِ اللهِ: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، وقولِ رسولِنا ﷺ: «**البينةُ علىٰ مَنِ ادعىٰ...**»، رواهُ مسلمٌ.

وقولُه: (الثانيةُ: العملُ بهِ)؛ أيْ تطبيقُ هذا العلمِ الذي هو وسيلةٌ وليس غايةً، والعملُ ثمرةُ العلمِ، ومَنْ علمَ ولم يعملْ؛ فقدْ تشبَّهَ باليهودِ، ومَنْ عملَ بدونِ العلمِ فقدْ تشبَّهَ بالنصارىٰ.

وقولُه: (الثالثةُ: الدعوةُ إليهِ)؛ علىٰ بصيرةٍ بالحكمِ الشرعيِّ وبحالِ المدعوِّ وبكيفيةِ الدعوةِ؛ لقولِ اللهِ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسفُ: ١٠٨].

ويدخلُ في الدعوةِ الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ والنصيحةُ، وكلُّ ذلك فرضٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، وطرقُها كثيرةٌ غيرُ المنبَرِ.

والعلمُ والعملُ والدعوةُ كلُّ ذلك في نفسِ الوقتِ علىٰ طريقٍ واحدٍ ولا يطغىٰ طرفٌ علىٰ حسابِ الآخرِ.






وقولُه: (الرابعةُ: الصبرُ علَىٰ الأذىٰ فيهِ)، والصبْرُ: حبسُ النفسِ علىٰ الطاعةِ وعنِ المعصيةِ وعن التسخطِ علىٰ قدرِ اللهِ، قالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسانُ: ٢٢، ٢٣]، لم يقلِ اللهُ: فاشكرْ نعمةَ ربِّك، بلْ قالَ: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، فيها إشارةٌ إلىٰ إنَّ كلَّ مَنْ قامَ بهذا القرآنِ فلا بدَّ أن يتعرضَ لشيءٍ يحتاجُ للصبرِ.

فالصبْرُ مهمٌّ لاستكمالِ العلمِ والعملِ والدعوةِ، معَ الدعاءِ أيضًا.

وقولُه: (والدليلُ «علىٰ هذه المسائلِ» قولُه تعالَىٰ: بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصرُ])، تفسيرُ السورةِ: أقسمَ اللهُ بالدهرِ علىٰ أن بني آدمَ لفي هلكةٍ ونقصانٍ - ولا يجوزُ للعبدِ أن يقسمَ إلا باللهِ، فإن القسمَ بغيرِ اللهِ شركٌ -، إلا الذين آمنوا باللهِ وعملوا عملًا صالحًا، وأوصىٰ بعضُهم بعضًا بالاستمساكِ بالحقِّ، والعملِ بطاعةِ اللهِ، والصبْرِ علىٰ ذلك. [التفسيرُ الميسرُ].

فدلَّتْ هذه السورةُ علىٰ المسائلِ الأربعِ التي ذكرَها الشيخُ:

١- مسألةُ العلمِ من قولِه تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

٢- مسألةُ العملِ من قولِه تعالىٰ: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٣- مسألةُ الدعوةِ من قولِه تعالىٰ: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾.

٤- مسألةُ الصبْرِ من قولِه تعالىٰ: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

وقولُه: (قالَ الشافعيُّ رحمه الله: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلَّا هذِه السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ)، الشافعيُّ هو الإمامُ محمدُ بنُ إدريسَ مجددُ القرنِ الثاني






أحدُ الأئمةِ الأربعةِ المتبوعين في الفقهِ، توفِّيَ ٢٠٤هـ. ومقصودُه أن السورةَ كافيةٌ للحثِّ علىٰ العلمِ والإيمانِ والعملِ والدعوةِ والصبْرِ، وأنها دلَّتْ علىٰ أن الناسَ فريقان: خاسرٌ ورابحٌ، وفيها أسبابُ الربح والفوز، وليسَ مقصوده أنها كافية في التشريعِ كلِّه، واللهُ الموفقُ.

وقولُه: (وقالَ البخاريُّ رحمه الله تعالى: بابٌ: العلمُ قبلَ القولِ والعملِ، والدليلُ قولُه تعالَىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمدٌ: ١٩]، فبدأَ بالعلمِ قبلَ القولِ والعملِ)، البخاريُّ هو الإمامُ محمدُ بنُ إسماعيلَ إمامُ المحدثين، توفِّيَ ٢٥٦هـ، صاحبُ الصحيحِ المشهورِ. ويقصدُ أنه واجب علىٰ المسلمِ أن يتعلمَ قبلَ القولِ والعملِ؛ حتىٰ يكونَ قولُه وعملُه صحيحًا.

وقولُه: (اعلمْ رحمَك اللهُ أنه يجبُ علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ؛ تعلمُ هذه الثلاثِ مسائلَ، والعملُ بهن: الأولىٰ: أن اللهَ خلقَنا)، وهذا بالفطرةِ السليمةِ، وأيضًا بالأدلةِ:

الدليلُ السمعيُّ: قولُه تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمرُ: ٦٢].

الدليلُ العقليُّ: بالعقلِ أخُلِق الناسُ من غيرِ خالقٍ لهم وموجدٍ، أم هم الخالقون لأنفسِهم؟ وكلا الأمرين باطلٌ ومستحيلٌ؛ وبهذا يتعيَّنُ أن اللهَ سبحانَه هو الذي خلقَهم ، فقد جاءَتِ الإشارةُ إليه في قولِه تعالىٰ: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [الطورُ: ٣٥].

وقولُه: (ورزقَنا)، وهذا بالفطرةِ السليمةِ، وأيضًا بالأدلةِ:

الدليلُ السمعيُّ: فقالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذارياتُ:٥٨].




الدليلُ العقليُّ: فلأننا لا نعيشُ إلا علىٰ طعامٍ وشرابٍ، والطعامُ والشرابُ خلقه اللهُ عَزَّوَجَلَّ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الواقعة، الآيات: ٦٣- ٧٠]، أفرأيتم الحرثَ الذي تحرثونه هل أنتم تُنبتونه في الأرضِ؟! بل نحنُ نُقِرُّ قرارَه وننبتُه في الأرضِ، لو نشاءُ لجعلْنا ذلك الزرعَ هشيمًا، لا يُنتفعُ به في مطعمٍ، فأصبحْتم تتعجَّبون مما نزلَ بزرعِكم، وتقولون: إنا لخاسرون معذَّبون، بلْ نحنُ محرومون من الرزقِ. أفرأيتم الماءَ الذي تشربونه لتحيَوا به، أأنتم أنزلتموه من السحابِ إلىٰ قرارِ الأرضِ، أم نحنُ الذين أنزلْناه رحمةً بكم؟! لو نشاءُ جعلْنا هذا الماءَ شديدَ الملوحةِ، لا يُنتفعُ به في شربٍ ولا زرعٍ، فهلا تشكرون ربَّكم علىٰ إنزالِ الماءِ العذبِ لنفعِكم. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: **(ولم يتركْنا هملًا)**، الدليلُ السمعيُّ: قولُه تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].

الدليلُ العقليُّ: فلأن وجودَ هذه البشريةِ لتحيا ثم تتمتعَ كما تتمتعُ الأنعامُ، ثم تموتَ إلىٰ غيرِ بعثٍ ولا حسابٍ؛ أمرٌ لا يليقُ بحكمةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، بلْ هو عبثٌ محضٌ، وأن اللهَ خلقَنا لغايةٍ عظيمةٍ.

وقولُه: **(بلْ أرسلَ إلينا رسولًا)**؛ أيْ أرسلَ إلينا معشرَ أمةِ محمدٍ رسولًا منا يعلمُنا الكتابَ والسنَّةَ، ويزكينا ويطهرُنا، كما أرسلَ إلىٰ الأممِ السابقةِ



رسلًا، وهذه رحمةٌ من اللهِ ونعمةٌ كبيرةٌ وبشرىٰ لمن يريدُ الهدايةَ، وحجةٌ وإنذارٌ علىٰ من لا يريدُ الهدايةَ.

وقولُه: (فمن أطاعَه دخلَ الجنَّةَ)؛ أيْ من أطاعَ الرسولَ من المسلمين - خاصةً في أمورِ التوحيدِ -؛ أدخلَه اللهُ الجنةَ برحمتِه.

وقولُه: (ومن عصاه دخلَ النارَ)؛ أيْ من عصىٰ الرسولَ من المسلمينَ أو غيرِهم - خاصةً في أمورِ التوحيدِ -؛ أدخلَه اللهُ النارَ بعدلِه.

وقولُه: (والدليلُ قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦﴾ [المزملُ: ١٥، ١٦])؛ أيْ: إنا أرسلْنا إليكم- يا أيُّها الناسُ - محمدًا رسولًا شاهدًا عليكم بما صدرَ منكم من الكفرِ والعصيانِ، كما أرسلْنا موسىٰ رسولًا إلىٰ الطاغيةِ فرعونَ، فكذَّبَ فرعونُ بموسىٰ، ولم يؤمنْ برسالتِه، وعصىٰ أمرَه، فأهلكْناه إهلاكًا شديدًا. وفي هذا تحذيرٌ من معصيةِ الرسولِ محمدٍ ﷺ؛ خشيةَ أن يصيبَ العاصيَ مثلُ ما أصابَ فرعونَ وقومَه. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ)؛ فإذا كانَ لا يرضىٰ أن يشركَ معَه ملكٌ، وهو من أشرفِ الخلقِ، ومن الخلقِ الغيبيِّ الذي نعلمُه، ولا نبيٌّ مرسلٌ، وهم أشرفُ جنسًا من بني آدمَ فكيفَ بالإشراكِ معَه غيرَه ممن هو دونَهم؛ كالوليِّ والأشجارِ والأحجارِ والأصنامِ؟! لا شكَّ أن اللهَ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لا يرضاه بلْ يبغضُه.

وهذا من صميمِ توحيدِ العبادةِ.





وقولُه: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨])؛ فإثباتُ المساجدِ، وهي محالُّ العبادةِ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحدَه لا شريكَ له، وتعقيبُ ذلك بالنهيِ عن دعاءِ غيرِه؛ دليلٌ علىٰ أن اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يرضىٰ أن يشركَ معَه غيرُه.

وقولُه: (الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ؛ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ)؛ وهذا من أصولِ الإيمانِ، فإن أوثقَ عرىٰ الإيمانِ الحبُّ في اللهِ والبغضُ في اللهِ، وذلك أنه إذا وقرَ الإيمانُ في قلبِ العبدِ أحبَّ ما يحبُّه اللهُ، وأبغضَ ما يبغضُه اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحبُّ التوحيدَ وأهلَه، ويبغضُ الشركَ والكفرَ وأهلَه، فمن أحبَّ أهلَ الشركِ ووادَّهم وتقرَّبَ منهم؛ فإنه قد حادَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذه من عقيدةِ الولاءِ والبراءِ.

وقولُه: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢])؛ أيْ: لا تجدُ - أيُّها الرسولُ - قومًا يصدِّقون باللهِ واليومِ الآخرِ، ويعملون بما شرعَ اللهُ لهم، يحبون ويوالون مَن عادىٰ اللهَ ورسولَه وخالفَ أمرَهما، ولو كانوا آباءَهم أو أبناءَهم أو إخوانَهم أو أقرباءَهم، أولئك الموالون في اللهِ والمعادون فيه؛ ثَبَّتَ في قلوبِهم



الإيمانَ، وقوَّاهم بنصرٍ منه وتأييدٍ علىٰ عدوِّهم في الدنيا، ويدخلُهم في الآخرةِ جناتٍ تجري من تحتِ أشجارِها الأنهارُ، ماكثين فيها زمانًا ممتدًّا لا ينقطعُ، أحلَّ اللهُ عليهم رضوانَه فلا يسخطُ عليهم، ورضوا عن ربِّهم بما أعطاهم من الكراماتِ ورفيعِ الدرجاتِ، أولئك حزبُ اللهِ وأولياؤه، وأولئك هم الفائزون بسعادةِ الدنيا والآخرةِ. [التفسيرُ الميسرُ].

وموالاةُ الكفارِ لها مظاهرُ متعددةٌ يكثرُ ظهورُها، ومنها:

أولًا: الرضا بكفرِ الكافرين وعدمُ تكفيرِهم، أو الشكُّ في كفرِهم، أو تصحيحُ أيِّ مذهبٍ من مذاهبِهم الكافرةِ.

ثانيًا: التشبُّهُ بهم بعاداتِهم وأخلاقِهم وتقاليدِهم الخاصةِ بهم؛ لأنه ما تشبهَ بهم إلا لأنه معجبٌ.

ثالثًا: الثقةُ المطلقةُ بهم، واتخاذُهم أعوانًا وأنصارًا وأصحابًا وأحبابًا.

رابعًا: معاونتُهم ومناصرتُهم، لا سيما في الباطلِ، أو ضد المسلمين.

خامسًا: مشاركتُهم في أعيادِهم الدينيةِ بإعانتِهم إما بالحضورِ أو بالتهنئةِ، فلا يجوزُ التهنئةُ ولو كانَتْ بغيرِ إقرارٍ ولو كانَتْ مجاملةً.

سادسًا: التسمي بأسمائِهم الخاصَّةِ بهم.

سابعًا: السفرُ إلىٰ بلادِهم أو الإقامةُ فيها لغيرِ ضرورةٍ.

ثامنًا: الاستغفارُ لهم والترحمُ عليهم إذا ماتَ منهم ميتٌ.

تاسعًا: مجاملتُهم ومداهنتُهم في الدينِ.

عاشرًا: استعارةُ قوانينِهم ومناهجِهم في حكمِ الأمةِ وتربيةِ أبنائِها.



الحاديَ عشرَ: العملُ في بناءِ معابدِهم أو الرضا بذلك.

الثانيَ عشرَ: نداؤُهم بألقابِهم المخالفةِ مثلِ: أبونا أو قديس.

وهناك أشياءُ أخرىٰ، ولكن نكتفي بذلك، ويراجعُ كتبُ الولاءِ والبراءِ.

وقولُه: (اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ)؛ الرشدُ: الاستقامةُ علىٰ طريقِ الحقِّ.

وقولُه: (لِطَاعَتِهِ)؛ الطاعةُ: موافقةُ المرادِ فعلًا للمأمورِ وتركًا للمحظورِ.

وقولُه: (أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ)؛ هي الملَّةُ المائلةُ عن الشركِ، المبنيةُ علىٰ الإخلاصِ للهِ عَزَّوَجَلَّ، ويقابلُها الجنفُ؛ وهو الميلُ من الاستقامةِ إلىٰ الضلالِ.

وقولُه: (مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ)؛ أيْ طريقَه الدينيَّ الذي يسيرُ - عليه الصلاة والسلام - عليه.

وقولُه: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ)؛ تنقيةُ العملِ مما يناقضُ التوحيدَ.

وقولُه: (وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وَمَعْنَىٰ (يَعْبُدُونِ): يُوَحِّدُونِ)؛ أيْ: يفردونني بالعبادةِ، وابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من فسرَها بذلك.

وهي الغايةُ من الخلقِ، واللهُ غنيٌّ عن عباداتِنا، ولا يحتاجُها، بل نحنُ من نحتاجُ ذلك ونستفيدُ، سواء في الدنيا أو الآخرةِ.

وقولُه: (وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ)، وهذا بيانٌ لأشرفِ أنواعِ التوحيدِ وأعلاه، وهو توحيدُ الألوهيةِ، أو توحيدُ العبادةِ، وهو الذي وقعَتْ فيه الخصومةُ بينَ الرسلِ وأقوامِهم، والتوحيدُ ثلاثةٌ: توحيدُ الألوهيةِ، وتوحيدُ الربوبيةِ، وتوحيدُ الأسماءِ والصفاتِ، وسيأتي تفصيلُها.







وقولُه: (وَأَعْظَمُ مَا نَهَىٰ عَنْه الشِّركُ؛ وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء: ٣٥])؛ وعبَّر بالدعوةِ ليشملَ نوعي الدعاءِ: دعاءَ المسألةِ، ودعاءَ العبادةِ.

والشركُ نوعان: شركٌ أكبرُ، وشركٌ أصغرُ.

الشركُ الأكبرُ: وهو كلُّ شركٍ أطلقَه الشارعُ، وكانَ متضمنًا لخروجِ الإنسانِ عن دينِه.

الشركُ الأصغرُ: وهو كلُّ عملٍ قوليٍّ أو فعليٍّ أطلقَ عليه الشرعُ وصفَ الشركِ، ولكنه لا يخرجُ عن الملةِ.

وعلىٰ الإنسانِ الحذرُ من الشركِ أكبَرِه وأصغرِه؛ فقد قالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [سورةُ النساءِ، الآيةُ: ٤٨]. إلا بالتوبةِ.

وقولُه: (فإذا قيلَ لك)؛ أيُّها المسلمُ الموحدُ.

وقولُه: (ما الأصولُ)؛ جمعُ أصلٍ، وهو ما يبنىٰ عليه غيرُه.

يقصدُ العقائدَ التي تبنىٰ عليها العباداتُ.

وقولُه: (الثلاثةُ التي يجبُ علىٰ الإنسانِ معرفتُها؟)، فرضٌ علىٰ كلِّ بني آدمَ المسلمين الموحدين معرفتُها.

وقولُه: (فقلْ: معرفةُ العبدِ ربَّه، ودينَه، ونبيَّه محمدًا)، هي الدينُ كلُّه، وهي الأصولُ التي يسألُ عنها الإنسانُ في قبْرِه، وهي عنوانُ ومضمونُ الكتابِ.

وقولُه: (الأصلُ الأولُ: معرفةُ الربِّ، فإذا قيلَ لك: من ربُّك؟ فقلْ: ربِّي اللهُ الذي رباني)؛ أيْ الذي أصلحني وأمدني وخلقني ورزقني.




وقولُه: **(وربىٰ جميعَ العالمين بنعمِه)**؛ أيْ جميعَ المخلوقاتِ؛ لبيانِ أن ربوبيتَه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا تختصُّ بصنفٍ من الخلقِ، بل جميعُ الخلقِ مربوبون للهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، علويُّه وسفليُّه.

وقولُه: **(وهو معبودِي)**؛ يعني: وهو الذي أتقرَّب إليه بالعبادةِ.

وقولُه: **(ليس لي معبودٌ سواه)**؛ وهذا تأكيدٌ علىٰ ما دلَّتْ عليه الجملةُ السابقةُ من إفرادِه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالعبادةِ وعدمِ الإشراكِ معه أحدًا.

وقولُه: **(والدليلُ قولُه تعالىٰ:** ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، **وكلُّ مَن سوىٰ اللهِ عالَمٌ، وأنا واحدٌ من ذلك العالمِ)**، العالمُ كلُّه مَن سوىٰ اللهِ، وسموا عالَمًا لأنهم علمٌ علىٰ خالقِهم ومالكِهم ومدبرِهم؛ ففي كلِّ شيءٍ آيةٌ للهِ تدلُّ علىٰ أنه واحدٌ.

وقولُه: **(فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ)**؛ فقلْ: عرفْتُه بآياتِه ومخلوقاتِه.

الآياتُ: جمعُ آيةٍ، وهي العلامةُ علىٰ الشيءِ التي تدلُّ عليه وتبيِّنُه.

وآياتُ اللهِ تعالىٰ نوعان: كونيةٌ وشرعيةٌ، فالكونيةُ هي المخلوقاتُ، والشرعيةُ هي الوحيُ الذي أنزلَه اللهُ علىٰ رسلِه.

وقولُه: **(وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]**)**؛ أيْ: ومن






حججِ اللهِ علىٰ خلقِه، ودلائلِه علىٰ وحدانيتِه، وكمالِ قدرتِه؛ اختلافُ الليلِ والنهارِ، وتعاقبُهما، واختلافُ الشمسِ والقمرِ وتعاقبُهما، كلُّ ذلك تحتَ تسخيرِه وقهرِه.

لا تسجدوا للشمسِ ولا للقمرِ ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾- فإنهما مدَبَّران مخلوقان -، واسجدوا للهِ الذي خلقَهن﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾، إن كنْتم حقًّا منقادين لأمرِه سامعين مطيعين له، تعبدونه وحدَه لا شريكَ له. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤])؛ أيْ: إن ربَّكم - أيُّها الناسُ -؛ هو اللهُ الذي أوجدَ السمواتِ والأرضَ من العدمِ في ستةِ أيامٍ، ثم استوىٰ - سبحانَه - علىٰ العرشِ - أي علا وارتفعَ - استواءً يليقُ بجلالِه وعظمتِه، يُدخلُ سبحانَه الليلَ علىٰ النهارِ، فيلبسُه إياه حتىٰ يذهبَ نورُه، ويُدخلُ النهارَ علىٰ الليلِ فيذهبُ ظلامُه، وكلُّ واحدٍ منهما يطلبُ الآخرَ سريعًا دائمًا، وهو - سبحانَه - الذي خلقَ الشمسَ والقمرَ والنجومَ مذللاتٍ له، يسخرُهن - سبحانَه - كما يشاءُ، وهنَّ من آياتِ اللهِ العظيمةِ، ألا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الخلقُ كلُّه وله الأمرُ كلُّه، تعالىٰ اللهُ وتعاظمَ وتنزَّهَ عن كلِّ نقصٍ، ربُّ الخلقِ أجمعين. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ)، هو فقط الذي يستحقُّ العبادةَ؛ لأنه الخالقُ





الرازقُ المنعمُ.

وقولُه: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢])؛ أيْ: نداءٌ من اللهِ للبشرِ جميعًا أن اعبدوا اللهَ الذي ربَّاكم بنعمِه، وخافوه ولا تخالفوا دينَه؛ فقد أوجدَكم من العدمِ، وأوجدَ الذين من قبلِكم؛ لتكونوا من المتقين الذين رضيَ اللهُ عنهم ورضوا عنه.

واعلم أن هذا أولُ أمرٍ في كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فأولُ الأوامرِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ أمرُ اللهِ تعالىٰ عبادَه بإفرادِه بالعبادةِ؛ لأنه ربُّكم الذي جعلَ لكم الأرضَ بساطًا؛ لتسهلَ حياتُكم عليها، والسماءَ محكمةَ البناءِ، وأنزلَ المطرَ من السحابِ، فأخرجَ لكم به من ألوانِ الثمراتِ وأنواعِ النباتِ رزقًا لكم، فلا تجعلوا للهِ نظراءَ في العبادةِ، وهذا أولُ نهيٍ في كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وأنتم تعلمون تفرُّدَه بالخلقِ والرزقِ، واستحقاقَه العبوديةَ. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ -: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ).

الإمامُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ هو عمادُ الدينِ أبو الفداءِ إسماعيلُ بنُ عمرَ القرشيُّ الدمشقيُّ الحافظُ المفسرُ المشهورُ صاحبُ التفسيرِ والتاريخِ، من تلاميذِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ، توفيَ سنةَ ٧٧٤.

وقولُه: (وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا)؛ العبادةُ اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه اللهُ ويرضاه من الأقوالِ والأعمالِ الظاهرةِ والباطنةِ.





وقولُه: (مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ)، وبدأَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكرِ العباداتِ بذكرِ أصولِها، فأصولُ العباداتِ: الإسلامُ والإيمانُ والإحسانُ، فكلُّ العباداتِ ترجعُ إلىٰ هذه الأنواعِ الثلاثةِ، فالإسلامُ ترجعُ إليه عباداتُ الجوارحِ والظاهرِ، والإيمانُ ترجعُ إليه عباداتُ القلبِ، والإحسانُ هو منتهىٰ العبادةِ القلبيةِ، فهذه الأمثلةُ الثلاثةُ هي مراتبُ الدينِ.

وقولُه: (وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا. كُلُّهَا للهِ تَعَالَىٰ)؛ فلا يجوزُ صرفُ عبادةٍ لغيرِ اللهِ أو صرفُ جزءٍ منها لغيرِ اللهِ؛ فهذا شركٌ.

وقولُه: (وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنُّ: ١٨])؛ أيْ: وأن المساجدَ لعبادةِ اللهِ وحدَه، فلا تعبدوا فيها غيرَه، وأخلصوا له الدعاءَ والعبادةَ فيها؛ فإن المساجدَ لم تُبْنَ إلا ليُعبَدَ اللهُ وحدَه فيها، دونَ من سواه، وفي هذا وجوبُ تنزيهِ المساجدِ من كلِّ ما يشوبُ الإخلاصَ للهِ، ومتابعةِ الرسولِ. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ)؛ خارجٌ عن الملةِ؛ لأنه ارتكبَ شركًا أكبَرَ، لكن التكفيرَ هنا تكفيرٌ مطلقٌ، أما تكفيرُ المعينِ فيحتاجُ إلىٰ إقامةِ الحجةِ عليه أولًا، قد يكونُ جاهلًا، أو قلدَ عالمَ سوءٍ، واللهُ أعلمُ.

وقولُه: (وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧])؛ تفسيرُ الآيةِ:





ومن يعبدْ معَ اللهِ الواحدِ إلهًا آخرَ، لا حجةَ له علىٰ استحقاقِه العبادةَ؛ فإنما جزاؤُه علىٰ عملِه السيِّئِ عندَ ربِّه في الآخرةِ. إنه لا فلاحَ ولا نجاةَ للكافرين يومَ القيامةِ. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخُّ الْعِبَادَةِ»)؛ رواه الترمذيُّ وضعفَه، والصحيحُ هو حديثُ: «**الدعاءُ هو العبادةُ**»، صححَه الذهبيُّ والألبانِيُّ وغيرُهما.

وقولُه: (وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافرٌ: ٦٠])؛ أيْ: وقالَ ربُّكم – أيُّها العبادُ –: ادعوني وحدِي وخصُّوني بالعبادةِ أستجبْ لكم، إن الذين يتكبرون عن إفرادِي بالعبوديةِ والألوهيةِ؛ سيدخلون جهنمَ صاغرين حقيرين. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥])؛ الخوفُ: عبارةٌ عن تألمِ القلبِ واحتراقِه بسببِ توقعِ مكروهٍ في الاستقبالِ.

والخوفُ أنواعٌ:

خوفٌ طبيعيٌّ جبليٌّ: كالخوفِ من الأسدِ والغرقِ وغيرِه، وهذا النوعُ ليسَ بمذمومٍ.

الخوفُ المذمومُ: وهو خوفٌ مما لا يوجبُ الخوفَ، وهو الذي ينشأُ عن الأوهامِ، وما يكونُ جبنًا، ويدخلُ فيه الخوفُ المقعدُ عن الطاعةِ أو الخوفُ الحاملُ علىٰ المعصيةِ؛ فإنه مذمومٌ، لكنه ليسَ بشركٍ، ولكنه يكونُ من المعاصي.





الخوفُ الذي يصلُ بصاحبِه إلىٰ الشركِ: وهو الذي يخافُ من الأوثانِ أو الأمواتِ أو الأحياءِ واعتقادُه أنهم يعلمون الغيبَ وبيدِهم النفعُ والضرُّ، وكذلك الخوفُ الذي يجعلُه يصرفُ لهم جزءًا من العبادةِ؛ كالاستغاثةِ بهم وطلبِ الرزقِ منهم أو الشفاءِ وغيرِه، فهذا لا يجوزُ صرفُه لغيرِ اللهِ، ومَن صرفَه لغيرِ اللهِ فقدْ أشركَ شركًا أكبرَ يحرِّمُ عليه الجنةَ، ويوجبُ له النارَ.

وقولُه: (وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهفُ: ١١٠])؛ الرجاءُ: عبادةٌ قلبيةٌ، حقيقتُها الطمعُ بالحصولِ علىٰ شيءٍ مرجوٍّ، والرغبةُ بالحصولِ علىٰ شيءٍ، يرجو أن يحصلَ علىٰ هذا الشيءِ.

والرجاءُ أنواعٌ:

رجاءٌ طبيعيٌّ: إن كانَ الرجاءُ لشيءٍ ممن يملكُ ذلك الشيءَ.

رجاءُ العبادةِ: وهو أن يطمعَ في شيءٍ لا يملكُه إلا اللهُ جلَّ وعلا، أن يطمعَ في شفائِه من مرضٍ، يرجو أن يشفىٰ، يرجو أن يدخلَ الجنةَ وينجوَ من النارِ، والرجاءُ المتضمنُ للذلِّ والخضوعِ؛ لا يكونُ إلا للهِ عَزَّوَجَلَّ، وصرفُه لغيرِ اللهِ تعالىٰ شركٌ.

واعلمْ أن الرجاءَ المحمودَ لا يكونُ إلا لمن عملَ بطاعةِ اللهِ ورجا ثوابَها، أو تابَ من معصيتِه ورجا قبولَ توبتِه، فأما الرجاءُ بلا عملٍ فهو غرورٌ وتمنٍّ مذمومٌ.

وذكرَ المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ الرجاءَ بعدَ الخوفِ؛ لأنه قرينُه، فالإنسانُ له




جناحان يطيرُ بهما: الخوفُ والرجاءُ، وبهما يبلغُ المأمنَ، فنحنُ نعبدُ اللهَ حبًّا فيه ورجاءً في جنتِه وخوفًا من نارِه؛ الثلاثةُ معًا.

وقولُه: (ودَلِيلُ التَّوكُّلِ: قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وقولُه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣])، والتوكلُ: هو صدقُ الاعتمادِ علىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في جلبِ المحبوبِ ودفعِ المكروهِ معَ الثقةِ به، وفعلِ الأسبابِ المأذونِ فيها.

أنواعُ التوكلِ:

التوكلُ علىٰ اللهِ تعالىٰ: وهو من تمامِ الإيمانِ وعلاماتِ صدقِه، وهو واجبٌ لا يتمُّ الإيمانُ إلا به.

توكلُ السرِّ: بأن يعتمدَ علىٰ ميتٍ في جلبِ منفعةٍ، أو دفعِ مضرةٍ، فهذا شركٌ أكبَرُ؛ لأنه لا يقعُ إلا ممن يعتقدُ أن لهذا الميتِ تصرفًا سريًّا في الكونِ، ولا فرقَ بينَ أن يكونَ نبيًّا، أو وليًّا، أو طاغوتًا عدوًّا للهِ تعالىٰ، ومثلُه التوكلُ علىٰ حيٍّ في شيءٍ لا يقدرُ عليه إلا اللهُ وحدَه.

التوكلُ علىٰ الأسبابِ: ونسيان مسببِ الأسبابِ نوعٌ من الشركِ الأصغرِ.

أما لو توكلَ علىٰ اللهِ بدونِ أسبابٍ؛ فهذا ليسَ توكلًا بل تواكلًا.

وأما لو اعتمدَ علىٰ السببِ علىٰ أنه سببٌ، وأن اللهَ تعالىٰ هو الذي قدَّرَ ذلك علىٰ يدِه؛ فإن ذلك لا بأسَ به، وأما من يوكل شخصًا آخر بحيثُ ينيبُه في أمرٍ تجوزُ فيه النيابةُ؛ فهذا لا بأسَ به، بدلالةِ الكتابِ، والسنَّةِ، والإجماعِ.

وقولُه: (وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟







يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠])،

فالرغبةُ: هي الصدقُ في الرجاءِ، إذًا هي نوعٌ من الرجاءِ وهي أعلاه.

والرهبةُ: هي الصدقُ في الخوفِ، إذًا هي نوعٌ من الخوفِ، وهو منتهاه.

والخشوعُ: هو الطمأنينةُ والذلُّ للهِ عَزَّوَجَلَّ.

وكلُّ هذه العباداتِ وغيرُها تكونُ للهِ وحدَه، ومن صرفَها أو صرفَ جزءًا لغيرِ اللهِ؛ فيكونُ قد أشركَ باللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وقولُه: (**وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تعالَىٰ:** ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾... **الآية** [البقرة: ١٥٠])، الخشيةُ: هي خوفٌ مقرونٌ بمعرفةِ اللهِ وحبِّه.

والخشيةُ تكونُ للهِ، ومن يخشىٰ غيرَ اللهِ كخشيةِ اللهِ أو أشدَّ يكونُ مشركًا خارجًا عن الملةِ.

وقولُه: (**وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾... **الآية** [الزمر: ٥٤])، الإنابةُ: هي الرجوعُ إلىٰ اللهِ بالقيامِ بطاعتِه واجتنابِ معصيتِه.

وقولُه: (**وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. **وَفِي الْحَدِيثِ: «... وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»**).

الاستعانةُ: طلبُ العونِ من اللهِ عَزَّوَجَلَّ علىٰ الأمورِ الدينيةِ والدنيويةِ.

وهي أنواعٌ:

الاستعانةُ بالمخلوقِ علىٰ أمرٍ يقدرُ عليه؛ فهذه علىٰ حسب المستعانِ عليه؛ فإن كانَتْ علىٰ برٍّ فهي جائزةٌ للمستعينِ، وإذا كانَتْ علىٰ شرٍّ فهي محرمةٌ.

وإذا كانَت بالأمواتِ مطلقًا أو بالأحياءِ علىٰ أمرٍ لا يقدرون عليه لأن




هذا الشيءَ خاصٌّ باللهِ وحدَه كعلمِ الغيبِ؛ فهذا شركٌ؛ لأنه لا يقعُ إلا من شخصٍ يعتقدُ أن لهؤلاء تصرفًا خفيًّا في الكونِ.

وقولُه: (وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلقُ: ١].

و: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناسُ: ١])، الاستعاذةُ: طلبُ دفعِ الشرِّ قبلَ وقوعِه.

وهي أنواعٌ:

- الاستعاذةُ بالأحياءِ في شيءٍ يقدرون عليه، هذه من العاداتِ المقبولةِ شرعًا، أما الاستعاذةُ بالأمواتِ أو الأحياءِ غيرِ الحاضرين القادرين أو الأحياءِ علىٰ شيءٍ لا يقدر عليه إلا اللهُ فقطْ؛ كلُّ ذلك العوذِ شركٌ.

وقولُه: (وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾... الآيةَ [الأنفالُ: ٩])، الاسْتِغَاثَةُ: طلبُ رفعِ الشرِّ بعدَ نزولِه.

وهي أنواعٌ:

- الاستغاثةُ بالأمواتِ أو بالأحياءِ غيرِ الحاضرين القادرين علىٰ الإغاثةِ، أو الأحياءِ علىٰ شيءٍ لا يقدر عليه إلا اللهُ فقط؛ فهذا شركٌ؛ لأنه لا يفعلُه إلا من يعتقدُ أن لهؤلاء تصرفًا خفيًّا في الكونِ فيجعلُ لهم حظًّا من الربوبيةِ.

- أما الاستغاثةُ بالأحياءِ العالمين القادرين علىٰ الإغاثةِ؛ فهذا جائزٌ.

وقولُه: (وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعامُ: ١٦١- ١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»)، الذبحُ: إزهاقُ روحِ الحيوانِ بإراقةِ





الدمِ علىٰ وجهٍ مخصوصٍ يقصدُ به التقربُ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، ومن فعلَ هذا لغيرِ اللهِ فقدِ ارتكبَ شركًا أكبَرَ مخرجًا عن الملةِ وملعونٌ – أيْ: مطرودٌ من رحمةِ اللهِ –.

وقولُه: (وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسانُ: ٧])، النذرُ: هو أن يلزمَ المكلفُ المختارُ نفسَه للهِ شيئًا ممكنًا بأيَّةِ صيغةٍ كانَتْ.

والنذرُ له شقانِ: الشقُّ الأولُ: النذرُ، والثاني: الوفاءُ به، وكلا الأمرين إذا صُرف لغيرِ اللهِ جلَّ وعلا فهو شركٌ؛ لأن هذا إيجابٌ علىٰ نفسِه عبادةً لمَنْ؟! لغيرِ اللهِ؛ فصارَ شركًا أكبَرَ.

وقولُه: (الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ)، يقصدُ المؤلفُ أيًّا من الأصولِ الثلاثةِ: معرفة دينِ الإسلامِ بالأدلةِ؛ يعني أن يُعرفَ دينُ الإسلامِ بأدلَّتِه من الكتابِ والسنةِ الصحيحةِ.

وقولُه: (وَهُوَ الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ)؛ أن يكونَ منقادًا غيرَ ممانعٍ ولا متولٍّ عن طاعةِ اللهِ جلَّ وعلا.

وقولُه: (وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ)؛ أصلُ البراءةِ البُغْضُ في القلبِ.

وقولُه: (وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ)، والمراتبُ: جمعُ مرتبةٍ، والمرتبةُ والرتبةُ: هي المنزلةُ، والأركانُ: جمعُ ركنٍ، وهو جانبُ الشيءِ الأقوىٰ الذي لا يقومُ ولا يتمُّ إلا به، والدينُ ثلاثُ مراتبَ، وهي درجاتٌ فوق بعضٍ؛ فالمحسنُ والمؤمنُ والمسلمُ؛




الجميعُ من أهلِ دينِ الإسلامِ، لكن لكلٍّ مرتبتُه الخاصةُ به، هم درجاتٌ عندَ اللهِ، واعلمْ أن هذه الأسماءَ الثلاثةَ إذا افترقَتْ دلَّ كلُّ واحدٍ منها علىٰ مضمونِ الآخرِ، وإذا اجتمعَت كما هو الحالُ في حديثِ جبريلَ اختصَّ كلُّ اسمٍ بمعنًىٰ مستقلٍّ، والجامعُ لهذه المعاني أن الإسلامَ يتعلقُ بالعملِ الظاهرِ، والإيمانُ يتعلقُ بعملِ القلبِ، والإحسانُ هو الغايةُ في عملِ القلبِ وعملِ الظاهرِ.

وقولُه: (المرتبةُ الأولىٰ: الإسلامُ، فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إلَهَ إلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ. فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آلُ عمرانَ: ١٨])؛ شهدَ اللهُ أنه المتفردُ بالإلهيةِ، وقَرَنَ شهادتَه بشهادةِ الملائكةِ وأهلِ العلمِ، علىٰ أجلِّ مشهودٍ عليه؛ وهو توحيدُه تعالىٰ وقيامُه بالعدلِ، لا إلهَ إلا هو العزيزُ الذي لا يمتنعُ عليه شيءٌ أرادَه، الحكيمُ في أقوالِه وأفعالِه. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ، وَحَدُّ النَّفْيِ مِنَ الإِثْبَاتِ (لا إلهَ) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ (إلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ)، وهذا معنىٰ الشهادةِ التي تتضمنُ معنىٰ توحيدِ الألوهيةِ وتوحيدِ الربوبيةِ والأسماءِ والصفاتِ.

وقولُه: (وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةَ



فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨])، أي: اذكرْ - أيُّها الرسولُ - إذ قالَ إبراهيمُ لأبيه وقومِهِ الذين كانوا يعبدون ما يعبدُه قومُك: إنني براءٌ مما تعبدون من دونِ اللهِ، إلا الذي خلقَني، فإنه سيوفقُني لاتباعِ سبيلِ الرشادِ، وجعلَ إبراهيمُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كلمةَ التوحيدِ (لا إلهَ إلا اللهُ) باقيةً فيمَن بعدَه؛ لعلَّهم يرجعون إلىٰ طاعةِ ربِّهم وتوحيدِه، ويتوبون من كفرِهم وذنوبِهم. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (وقَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤])؛ أيْ: قلْ - أيُّها الرسولُ - لأهلِ الكتابِ من اليهودِ والنصارىٰ: تعالَوْا إلىٰ كلمة عدل وحق نلتزمُ بها جميعًا، وهي أن نَخُصَّ اللهَ وحدَه بالعبادةِ، ولا نتخذُ أيَّ شريكٍ معَه، من وثنٍ أو صنمٍ أو صليبٍ أو طاغوتٍ أو غيرِ ذلك، ولا يدينُ بعضُنا لبعضٍ بالطاعةِ من دونِ اللهِ. فإن أعرضوا عن هذه الدعوةِ الطيبةِ فقولوا لهم - أيُّها المؤمنون -: اشهدوا علينا بأنا مسلمون منقادون لربِّنا بالعبوديةِ والإخلاصِ. والدعوةُ إلىٰ كلمةٍ سواءٍ؛ كما تُوجَّهُ إلىٰ اليهودِ والنصارىٰ توجَّهُ إلىٰ من جرىٰ مجراهم. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨])؛ أيْ: لقدْ جاءَكم أيُّها المؤمنون




رسولٌ من قومِكم، يشقُّ عليه ما تلقون من المكروهِ والعنتِ، حريصٌ علىٰ إيمانِكم وصلاحِ شأنِكم، وهو بالمؤمنين كثيرُ الرأفةِ والرحمةِ. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (**وَمَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ، وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ**)، وقيلَ: هذا مقتضاها.

وقولُه: (**وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ**): (**قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينةُ: ٥]).

الصلاةُ: هيئةٌ مخصوصةٌ بأفعالٍ وأقوالٍ مخصوصةٍ، تفتتحُ بالتكبيرِ وتختتمُ بالتسليمِ، يقصدُ بها التعبدُ للهِ، وهي حقُّ اللهِ علىٰ عبادِه كلَّ يومٍ وليلةٍ.

الزكاةُ: إخراجُ مالٍ مخصوصٍ من شيءٍ مخصوصٍ بطريقةٍ مخصوصةٍ علىٰ وفقِ شروطٍ مخصوصةٍ، يقصدُ بها التعبدُ للهِ، وهي حقُّ اللهِ علىٰ عبادِه الأغنياءِ في أموالِهم، تؤخذُ منهم وتُردُّ علىٰ إخوانِهم الفقراءِ.

التوحيدُ: إفرادُ اللهِ بالعبادةِ.

تفسيرُ الآيةِ: وما أمروا في سائرِ الشرائعِ إلا ليعبدوا اللهَ وحدَه قاصدين بعبادتِهم وجهَه، مائلين عن الشركِ إلىٰ الإيمانِ، ويقيموا الصلاةَ، ويُؤَدُّوا الزكاةَ، وذلك هو دينُ الاستقامةِ، وهو الإسلامُ. [التفسيرُ الميسرُ].

(**ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣])، الصيامُ: هو الإمساكُ



عن المفطراتِ تعبدًا للهِ تعالىٰ من طلوعِ الفجرِ إلىٰ غروبِ الشمسِ، وهو فرضٌ في شهرِ رمضانَ للبالغِ القادرِ المقيمِ، وما سواه مستحبٌّ.

وتفسيرُ الآيةِ: يا أيُّها الذين صدَّقوا اللهَ ورسولَه وعملوا بشرعِه، فرضَ اللهُ عليكم الصيامَ كما فرضَه علىٰ الأممِ قبلَكم؛ لعلَّكم تتقون ربَّكم، فتجعلون بينكم وبينَ المعاصي وقايةً بطاعتِه وعبادتِه وحدَه. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (**ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ**: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آلُ عمرانَ: ٩٧])، الحجُّ: هو قصدُ مكةَ لأداءِ مناسكِ الحجِّ في زمنٍ مخصوصٍ، يقصدُ به التعبدُ للهِ، وهو فرضٌ علىٰ البالغِ المستطيعِ ماديًّا وجسديًّا.

تفسيرُ الآيةِ: أوجبَ اللهُ علىٰ المستطيعِ من الناسِ في أيِّ مكانٍ قَصْدَ هذا البيتِ لأداءِ مناسكِ الحجِّ. ومن جحدَ فريضةَ الحجِّ فقدْ كفرَ، واللهُ غنيٌّ عنه وعن حجِّه وعملِه، وعن سائرِ خَلْقِه. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (**الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ**)؛ أيْ من مراتبِ الدينِ.

الإيمانُ: اعتقادٌ بالقلبِ وقولٌ باللسانِ وعملٌ بالجوارحِ يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ.

وقولُه: (**وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ: لا إلهَ إلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**)، البضعُ: بكسرِ الباءِ من الثلاثةِ إلىٰ التسعةِ.

الشعبةُ: الجزءُ من الشيءِ.




الحياءُ: صفةٌ انفعاليةٌ عندَ الخجلِ، وتحجزُ المرءَ عن فعلِ ما يخالفُ المروءةَ.

وهذا التعريفُ نصُّ حديثٍ في مسلمٍ وغيرِه، ويؤخذُ منه الدليلُ علىٰ التعريفِ الشرعيِّ.

قولٌ باللسانِ: قَوْلُ: لا إلهَ إلا اللهُ.

اعتقادٌ بالقلبِ: وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.

وعملٌ بالجوارحِ: وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ.

وقولُه: (وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ)؛ الركنُ: هو ما لا يتمُّ الشيءُ إلا به، ولا يتحققُ إلا بوجودِه، ويكونُ داخلَ ماهيةِ الشيءِ؛ كأركانِ الصلاةِ مثلًا.

وقولُه: (كما في الحديثِ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»)؛ حديثُ جبريلَ المشهورُ، وهو في الصحيحين وغيرِهما.

وقولُه: (وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]. ودليلُ القدرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمرُ: ٤٩])؛ تفسيرُ الآيةِ الأولىٰ: ليسَ الخيرُ عندَ اللهِ – تعالىٰ - في التوجهِ في الصلاةِ إلىٰ جهةِ المشرقِ والمغربِ إن لم يكنْ عن أمرِ اللهِ وشرعِه، وإنما الخيرُ كلُّ الخيرِ هو إيمانُ مَن آمنَ باللهِ وصدَّق به معبودًا وحدَه لا شريكَ له، وآمنَ بيومِ البعثِ والجزاءِ، وبالملائكةِ جميعًا، وبالكتبِ المنزلةِ كافةً، وبجميعِ النبيين من غير تفريقٍ. [التفسيرُ الميسرُ].







والثانيةُ: إنَّا كل شيءٍ خلقْناه بمقدارٍ قدرْناه وقضيناه، وسبقَ علمُنا به، وكتابتُنا له في اللوحِ المحفوظِ. [التفسيرُ الميسرُ].

قوله: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ):

الإيمانُ باللهِ يتضمنُ أربعةَ أمورٍ:

١) الإيمانَ بوجودِه - ويجوز أن تخبِرَ عن اللهِ بأنه موجودٌ أو واجدٌ -.

٢) الإيمانَ بربوبيتِه.

٣) الإيمانَ بألوهيتِه.

٤) الإيمانَ بأسمائِه وصفاتِه.

ولو أننا لم نذكرِ الوجودَ لما ضرَّ؛ لأنك إذا أقررْتَ بالثلاثةِ الأمورِ لزمَ منها أن يكونَ موجودًا مَن تثبتُ له الألوهيةَ، والربوبيةَ، والأسماءَ والصفاتِ؛ لأنها أوصافٌ، والأوصافُ لا تثبتُ إلَّا لموجودٍ.

١) الإيمانُ بوجودِه:

الأدلةُ علىٰ وجودِ اللهِ كثيرةٌ، ومنها:

الفطرةُ: إن فطرةَ الإنسانِ تشهدُ بوجودِ اللهِ تعالىٰ مهما حاولَ الإنسانُ إخفاءَها، فكمْ مِن إنسانٍ ينكرُ وجودَ اللهِ تعالىٰ، فلما ضاقَتْ به السبلُ الماديةُ في الأزماتِ لم يجدْ إلا أن يتوجهَ بقلبِه إلىٰ السماءِ، وربما يرفعُ يديه في خضوعٍ وتذللٍ لعلَّه يجدُ من القوةِ العليا مخرجًا مما هو فيه من ضيقٍ، كما قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ هَلْ تَرَىٰ فِيهَا جَدْعَاءَ**».






أخرجَه البخاريُّ ومسلمٌ.

العقلُ الصحيحُ: وهو العقلُ النقيُّ الصافي غيرُ المنساقِ لمؤثراتِ الهوىٰ والشهوةِ، المهيأُ لاحترامِ الحقائقِ وقبولِ الحقِّ، الرافضُ للوهمِ والخرافةِ، فهذا العقلُ لو فكرَ مثلًا أن هذه المخلوقاتِ سابقَها ولاحقَها لابدَّ لها من خالقٍ أوجدَها؛ إذ لا يمكنُ أن توجدَ نفسَها بنفسِها، ولا يمكنُ أن توجدَ صدفةً.

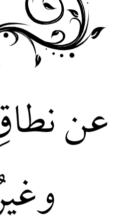
لا يمكنُ أن توجدَ نفسَها بنفسِها؛ لأن الشيءَ لا يخلقُ نفسَه؛ لأنه قبلَ وجودِه معدومٌ فكيف يكونُ خالقًا؟!

ولا يمكنُ أن توجدَ صدفةً؛ لأن كلَّ حادثٍ لابدَّ له من محدثٍ، ولأن وجودَها علىٰ هذا النظامِ البديعِ، والتناسقِ المتآلفِ، وبين الكائناتِ بعضِها معَ بعضٍ؛ يمنعُ منعًا باتًّا أن يكونَ وجودُها صدفةً؛ إذ الموجودُ صدفةً ليسَ علىٰ نظامٍ في أصلِ وجودِه؛ فكيفَ يكونُ منتظمًا حالَ بقائِه وتطورِه؟! وإذا لم يمكنْ أن تُوجِدَ هذه المخلوقاتُ نفسَهَا بنفسِهَا، وَلَا أَنْ تُوجَدَ صُدْفَةً تَعَيَّنَ أنْ يكونَ لها مُوجِدٌ وهو اللهُ ربُّ العالمينَ.

دلالةُ الشرعِ: فلأن الكتبَ السماويةَ كلَّها تنطقُ بذلك، وما جاءَتْ به من الأحكامِ المتضمنةِ لمصالحِ الخلقِ؛ دليلٌ علىٰ أنها من ربٍّ حكيمٍ عليمٍ بمصالحِ خلقِه، وما جاءَتْ به من الأخبارِ الكونيةِ التي شهدَ الواقعُ بصدقِها؛ دليلٌ علىٰ أنها من ربٍّ قادرٍ علىٰ إيجادِ ما أخبَرَ به.

آياتُ الأنبياءِ التي تسمىٰ (المعجزاتِ): ويشاهدُها الناسُ، أو يسمعون بها؛ برهانٌ قاطعٌ علىٰ وجودِ مرسلِهم، وهو اللهُ تعالىٰ؛ لأنها أمورٌ خارجةٌ






عن نطاقِ البشرِ، يجريها اللهُ تعالىٰ تأييدًا لرسلِه ونصرًا لهم.

وغيرُها من الأدلةِ المنطقيةِ كإعجازِ القرآنِ ونبوءاتِ النبيِّ ﷺ، ولكن نكتفي بذلك، ومن أنكرَ وجودَ اللهِ فهذا كافرٌ مخلدٌ في النارِ.

٢) الإيمانُ بربوبيتِه:

وهو إفرادُ اللهِ بأفعالِه سبحانَه، وهو الإيمانُ بأنه الخالقُ، الرازقُ، المدبرُ لأمورِ خلقِه، المتصرِّفُ في شؤونِهم في الدنيا والآخرةِ، الملكُ والمالكُ، لا شريكَ له في ذلك.

الدليلُ: قولُه تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعرافُ: ٥٤].

نواقضُه: فمن اعتقدَ غيرَ ذلك؛ فقد كفر، ومن اعتقدَ أن لله شريكًا في الربوبيةِ سواء كانَ الشريكُ نبيًّا أو وليًّا أو غيرَهما؛ فقدْ أشركَ شركًا أكبَرَ، ومن اعتقدَ أن أيَّ حكمٍ أفضلُ أو مساوٍ لحكمِ اللهِ؛ يكونُ مشركًا شركًا أكبَرَ.

ومن قالَ: لولا اللهُ وأنت، أو حلفَ بغيرِ اللهِ؛ فقدْ أشركَ شركًا أصغرَ.

٣) الإيمانُ بألوهيتِه، أو توحيدُ العبادةِ:

وهو إفرادُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بأفعالِنا؛ كالصلاةِ والزكاةِ والصيامِ وغيرِ ذلك من العباداتِ، وهي لا تكونُ إلا للهِ فقطْ.

الدليلُ: قولُه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحلُ: ٣٦].

نواقضُه: فمن صرفَ عبادةً لغيرِ اللهِ؛ فقدْ كفرَ، ومن عبدَ أحدًا معَ اللهِ؛ فقدْ أشركَ شركًا أكبَرَ.






ويسيرُ الرياءِ شركٌ أصغرُ.

٤) الإيمانُ بأسمائِه وصفاتِه:

الإيمانُ بما وصفَ اللهُ به نفسَه، ووصفَه به رسولُه ﷺ، من غيرِ تحريفٍ - تأويلٍ فاسدٍ -، ولا تشبيهٍ ولا تعطيلٍ ولا تمثيلٍ ولا تكييفٍ ولا تفويضِ المعنىٰ.

الدليلُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعرافُ: ١٨٠]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

قواعدُ مهمةٌ - لفهمِ توحيدِ الأسماءِ والصفاتِ -:

القاعدةُ الأولىٰ:

نثبتُ ما أثبتَهُ اللهُ تعالىٰ لنفسِه أو أثبتَهُ له رسولُه ﷺ، بفهمِ السلفِ الصالحِ.

والدليلُ: قولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرةُ: ١٣٩]، وقولُ الرسولِ ﷺ: «...**فَأَنَا وَاللهِ أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»، متفقٌ عليه.

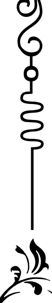
وقالَ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يوصفُ اللهُ إلا بما وصفَ به نفسَه، أو وصفَه به رسولُه، لا يتجاوزُ القرآنُ والحديثُ.

والمثالُ والتطبيقُ العمليُّ: يسألُ سائلٌ هل يوصفُ اللهُ بالمحبةِ؟

نقولُ: نعم، الحبُّ والمحبةُ صفاتٌ للهِ عَزَّوَجَلَّ فِعلِيَّةٌ اختيارِيَّةٌ ثابتةٌ بالكتابِ والسنةِ والإجماعِ.

الدليلُ من الكتابِ قولُه تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

الدليلُ من السنةِ حديثُ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ يحبُّ العبدَ التقيَّ، الغنيَّ، الخفيَّ**» [رواه مسلمٌ (٢٩٦٥)].





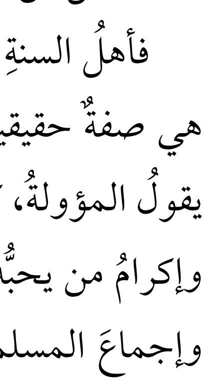
الدليلُ من الإجماعِ:

فأهلُ السنةِ والجماعةِ يثبتون صفةَ الحبِّ والمحبةِ للهِ عَزَّوَجَلَّ، ويقولون: هي صفةٌ حقيقيةٌ للهِ عَزَّوَجَلَّ، علىٰ ما يليقُ به، وليسَ هي إرادةَ الثوابِ؛ كما يقولُ المؤولةُ، كما يثبتُ أهلُ السنةِ لازمَ المحبةِ وأثرَها، وهو إرادةُ الثوابِ وإكرامُ من يحبُّه سبحانَه، قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ: فإنَّ الكتابَ والسنةَ وإجماعَ المسلمين أثبتَتْ محبةَ اللهِ لعبادِه المؤمنين ومحبتَهم له (مجموعُ الفتاوىٰ ٢/ ٣٥٤):

وهذة القاعدةُ نردُّ بها علىٰ من ينفون الصفاتِ لأن اللهَ أعلمُ بنفسِه منهم، وهو أثبت لنفسِه صفاتٍ، وسبحانَ اللهِ يثبتون للمخلوقِ الكمالَ وللهِ النقصَ!!

أو يحرفون فهمَ الآياتِ لأنَّ اللهَ تعالىٰ أعلمُ بما ينزلُ، فلو كانَ الظاهرُ غيرَ مرادٍ لجاءَ البيانُ بذلك.

أو يفوضون تفويضَ المعنىٰ للصفاتِ لأن اللهَ تعالىٰ وصفَ كتابَه بأنه تبيانٌ لكلِّ شيءٍ، فقالَ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحلُ: ٨٩]، وكلامُ اللهِ نزلَ بالعربيةِ.



القاعدةُ الثانيةُ:

ننفي ما نفاه اللهُ تعالىٰ عن نفسِه أو نفاه رسولُه ﷺ بفهمِ السلفِ الصالحِ.

والدليلُ: **قولُه تعالىٰ**: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، **وقولُه تعالىٰ**: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

والمثالُ والتطبيقُ العمليُّ: يسألُ سائلٌ: هل صفاتُ اللهِ مثلُ صفاتِ المخلوقين؟




نقول: كلا؛ لقولِه تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقولِه: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريمُ: ٦٥].

وهذه القاعدةُ نردُّ بها علىٰ من شبهَ أو جسمَ صفاتِ اللهِ بصفاتِ البشرِ، فكيفَ تشبهُ الخالقَ بالمخلوقِ؟!

القاعدةُ الثالثةُ:

نسكتُ عما سكتَ عنه اللهُ ورسولُه ﷺ.

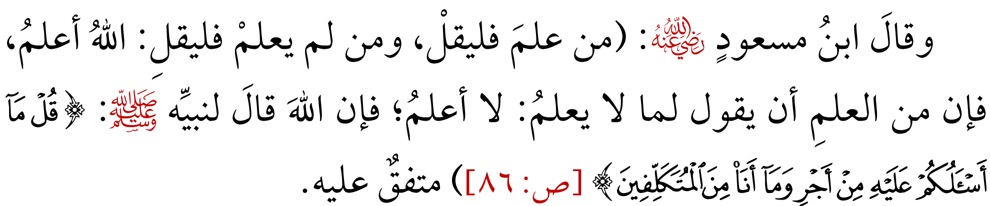
والدليلُ: قولُ اللهِ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠]؛ أيْ أن الأصلَ أننا لا نعرفُ شيئًا عن أسماءِ اللهِ وصفاتِه إلا عن طريقِ الوحيِ؛ لأن الأسماءَ والصفاتِ توقيفيةٌ بالإجماعِ، ولقولِ رسولِ اللهِ ﷺ: «**مَن أحدثَ في أمرِنا هذا ما ليسَ منه فهو ردٌّ**». أخرجَه الشيخان في صحيحيهما.

قالَ شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما لم يردْ به الخبرُ إن علمَ انتفاؤُه نفيناه، وإلا سكتْنا عنه، فلا نثبتُ إلا بعلمٍ ولا ننفي إلا بعلمٍ... فالأقسامُ ثلاثةٌ: ما علمَ ثبوتُه أثبتَ، وما علمَ انتفاؤُه نفيَ، وما لم يعلمْ نفيُه ولا إثباتُه سكتَ عنه، هذا هو الواجبُ، والسكوتُ عن الشيءِ غيرُ الجزمِ بنفيِه أو ثبوتِه. «شرحُ أصولِ اعتقادِ أهلِ السنةِ» للالكائيِّ (٤٣١ / ١٦).

والمثالُ والتطبيقُ العمليُّ: يسألُ سائلٌ: ما هي كيفيةُ صفاتِ اللهِ؟

نقولُ: اللهُ أعلىٰ وأعلمُ، ولا نثبتُ شيئًا لم يثبتْه القرآنُ والسنةُ، ونسكتُ؛ لقولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراءُ: ٣٦].





وقالَ ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (من علمَ فليقلْ، ومن لم يعلمْ فليقل: اللهُ أعلمُ، فإن من العلمِ أن يقول لما لا يعلمُ: لا أعلمُ؛ فإن اللهَ قالَ لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]) متفقٌ عليه.

فنحن نثبتُ الصفاتِ لأن اللهَ تكلمَ عنها والرسولَ تكلمَ عنها، ونسكتُ عن كيفيةِ الصفاتِ؛ لأن اللهَ سكتَ عنها والرسولَ سكتَ عنها.

وهذه القاعدةُ نردُّ بها علىٰ أهلِ التكْييفِ - المُكَيِّفَةِ - وهو جعلُ الشيءِ علىٰ حقيقةٍ معينةٍ من غيرِ أن يقيدَها بمماثلٍ، ولمن يصفون كيفيةَ الصفاتِ أو يسألون عنها نقول: سبحانَ اللهِ تخبرُ بشيءٍ لم يخبرْ به اللهُ أو رسولُه.

وكذلك نردُّ بها علىٰ من ينفون أو يثبتون صفاتٍ لم يثبتْها اللهُ أو ينفِها.

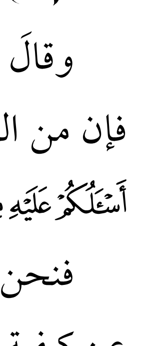
القاعدةُ الرابعةُ:

التوقف في الألفاظِ المجملة التي لم يردْ إثباتها ولا نفيُها حتىٰ نفهم مراد قائلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وَأَمَّا الْأَلْفَاظُ الْمُجْمَلَةُ فَالْكَلَامُ فِيهَا بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ دُونَ الِاسْتِفْصَالِ يُوقِعُ فِي الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ، وَالْفِتَنِ وَالْخَبَالِ، وَالْقِيلِ وَالْقَالِ، وَقَدْ قِيلَ: أَكْثَرُ اخْتِلَافِ الْعُقَلَاءِ مِنْ جِهَةِ اشْتِرَاكِ الْأَسْمَاءِ).

[منهاج السنة النبوية (٢/ ٢١٧)]

وقال أيضا: (وَأَمَّا الْأَلْفَاظُ الَّتِي لَيْسَتْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا اتَّفَقَ السَّلَفُ عَلَىٰ نَفْيِهَا أَوْ إثْبَاتِهَا فَهَذِهِ لَيْسَ عَلَىٰ أَحَدٍ أَنْ يُوَافِقَ مَنْ نَفَاهَا أَوْ أَثْبَتَهَا حَتَّىٰ يَسْتَفْسِرَ عَنْ مُرَادِهِ؛ فَإِنْ أَرَادَ بِهَا مَعْنًىٰ يُوَافِقُ خَبَرَ الرَّسُولِ أَقَرَّ بِهِ، وَإِنْ أَرَادَ بِهَا مَعْنًىٰ يُخَالِفُ خَبَرَ الرَّسُولِ أَنْكَرَهُ) [مجموع الفتاوي (١٢/ ١١٤)].






والمثال التطبيقي العمليُ: سائلٌ يسألُ هل للهِ (الجهةِ)؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (إذَا قَالَ الْقَائِلُ: الرَّبُّ مُتَحَيِّزٌ أَوْ غَيْرُ مُتَحَيِّزٍ أَوْ هُوَ فِي جِهَةٍ أَوْ لَيْسَ فِي جِهَةٍ، قِيلَ: هَذِهِ الْأَلْفَاظُ مُجْمَلَةٌ لَمْ يَرِدْ بِهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ لَا نَفْيًا وَلَا إثْبَاتًا، وَلَمْ يَنْطِقْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ بِإِثْبَاتِهَا وَلَا نَفْيِهَا. فَإِنْ كَانَ مُرَادُك بِقَوْلِك إنَّهُ يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ؛ وَلَيْسَ هُوَ بِقُدْرَتِهِ يَحْمِلُ الْعَرْشَ وَحَمَلَتَهُ وَلَيْسَ هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَىٰ الْكَبِيرُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَلَيْسَ هُوَ مُتَحَيِّزًا بِهَذَا الِاعْتِبَارِ، وَإِنْ كَانَ مُرَادُك أَنَّهُ بَائِنٌ عَنْ مَخْلُوقَاتِهِ، عَالٍ عَلَيْهَا فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ؛ فَهُوَ سُبْحَانَهُ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ أَئِمَّةُ السُّنَّةِ، مِثْلُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْه، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ، وَكَمَا دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ صَحِيحُ الْمَنْقُولِ وَصَرِيحُ الْمَعْقُولِ كَمَا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ). [مجموع الفتاوي (٧/ ٦٦٣)].

وهذه القاعدةُ نردُّ بها علىٰ أهلِ الكلامِ والفلسفةِ وأهلِ البدع.

نواقضُه: مخالفةُ اعتقادِ السلفِ الصالحِ، واعتقادِ الفرقِ الضالةِ؛ مثلَ:

١) **الجهميةُ:** وهم أتباعُ الجهمِ بنِ صفوانٍ، وهم ينكرون الأسماءَ والصفاتِ.

٢) **المعتزلةُ:** وهم أتباعُ واصلِ بنِ عطاءٍ، وعمرِو بنِ عبيدٍ، وهم يثبتون الأسماءَ، وينكرون الصفاتِ.

٣) **الأشاعرةُ:** وهم أتباعُ أبي الحسنِ الأشعريِّ قبلَ أن يعودَ إلىٰ اعتقادِ السلفِ في كثيرٍ من أقوالِه، وهم يثبتون الأسماءَ، وسبعَ صفاتٍ، يقولون:







عقليةٌ، يسمونها معانِيَ؛ هي: الحياةُ، والعلمُ، والقدرةُ، والإرادةُ، والسمعُ، والبصرُ، والكلامُ، وإثباتُهم لهذه الصفاتِ مخالفٌ لطريقةِ السلفِ، ويؤولون باقيَ الصفاتِ تأويلًا فاسدًا.

٤) **الممثلةُ:** وهم الذين أثبتوا الصفاتِ، وجعلوها مماثلةً لصفاتِ المخلوقين، وقيل: إن أولَ من قالَ بذلك هو هشامُ بنُ الحكمِ الرافضيُّ.

٥) **المكيفةُ:** أصحابُ التكييفِ، الذين يكيفون الصفة؛ كقولِ القائلِ: يدُ اللهِ أو نزولُه إلىٰ الدنيا كذا وكذا، أو يدُه طويلةٌ، أو غيرَ ذلك، أو أن يسألَ عن صفاتِ اللهِ بكيفٍ.

٦) **المفوضةُ:** هو الحكمُ بأن معانِيَ نصوصِ الصفاتِ مجهولةٌ غيرُ معقولةٍ لا يعلمُها إلا اللهُ.

أو هو إثباتُ الصفاتِ وتفويضُ معناها وكيفيتِها إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ. كالماتريديةِ وبعضِ متأخري الحنابلةِ.

والردُّ علىٰ هؤلاء يكونُ بدليلِ الإثباتِ أو النفيِ أو السكوتِ، بفهمِ السلفِ، وبيانِ مخالفةِ معتقدِهم بالنقلِ والعقلِ.

ثمراتُ الإيمانِ باللهِ تعالى:

الأولىٰ: تحقيقُ توحيدِ اللهِ تعالىٰ، بحيثُ لا يتعلقُ بغيرِه رجاءً، ولا خوفًا، ولا يعبدُ غيرَه.

الثانيةُ: كمالُ محبةِ اللهِ تعالىٰ وتعظيمِه بمقتضىٰ أسمائِه الحسنىٰ وصفاتِه العليا.




الثالثةُ: تحقيقُ عبادتِه بفعلِ ما أمرَ به، واجتنابِ ما نهىٰ عنه.

تنبيهٌ مهمٌّ جدًّا: يعترضُ البعضُ علىٰ تقسيمِ التوحيدِ لثلاثةِ أقسامٍ: توحيدِ الربوبيةِ، وتوحيدِ الألوهيةِ، وتوحيدِ الأسماءِ والصفاتِ، ويدعون أن التقسيمَ حادثٌ، وليسَ عليه دليلٌ مباشرٌ صريحٌ، لا من كتابٍ ولا سنةٍ، ولم يقلْ به أحدٌ من السلفِ قبلَ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذا الاعتراضُ ناقشَه كثيرٌ من العلماءِ، وبينوا أن التقسيمَ هو تقسيمٌ اصطلاحيٌّ، ولا مشاحة في الإصلاح كما قالَ الفقهاءُ والأصوليون، وهو بمثابةِ شرحٍ وتفسيرٍ للتوحيدِ، وفائدتُه تيسيرُ العلمِ كمثلِ تقسيمِ السلفِ للعلومِ الشرعيةِ إلىٰ فقهٍ وعقيدةٍ ومصالحَ وغيرِه.

عُرِفَ بالاستقراءِ من نصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ، بالأدلةِ العامةِ، والتقسيمُ يدخلُ في بابِ المصالحِ المرسلةِ أيضًا، واللهُ أعلمُ.

وأشارَ إليه ابنُ مندهْ وابنُ جريرٍ الطبريُّ وغيرُهم قبلَ أن يقررَه شيخُ الإسلامِ في كتبِه.

قوله: (وَمَلَائِكَتِهِ):

الملائكةُ هم عالمٌ غيبيٌّ نورانيٌّ، أحياءٌ ناطقون، خلقَهم اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من نورٍ، عابدون للهِ تعالىٰ، ومنحَهم الانقيادَ التامَّ لأمرِه، والقوَّةَ علىٰ تنفيذِه، يسبحون الليلَ والنهارَ لا يفترون، وهم عددٌ كثيرٌ لا يحصيهم إلا اللهُ تعالىٰ.

الإيمانُ بالملائكةِ يتضمنُ أربعةَ أمورٍ:

الأولُ: الإيمانُ بوجودِهم.



الثاني: الإيمانُ بمن علمْنا اسمَه منهم باسمِه؛ كجبريلَ، ومن لم نعلمْ اسمَه، نؤمنُ بهم إجمالًا.

الثالثُ: الإيمانُ بما علمْنا من صفاتِهم؛ كصفةِ جبريلَ، فقدْ أخبرَ النبيُّ ﷺ أنه رآه علىٰ صفتِه التي خلقَ عليها وله ستُّمائةِ جناحٍ قدْ سدَّ الأفقَ. وقد يتحولُ الملكُ بأمرِ اللهِ تعالىٰ إلىٰ هيئةِ رجلٍ، كما حصلَ لجبريلَ حينَ أرسلَه تعالىٰ إلىٰ مريم فتمثلَ لها بشرًا سويًّا، وحينَ جاءَ إلىٰ النبيِّ ﷺ وهو جالسٌ في أصحابِه جاءَه بصفةٍ لا يرىٰ عليه أثرُ السفرِ.

الرابعُ: الإيمانُ بما علمْنا من أعمالِهم التي يقومون بها بأمرِ اللهِ تعالىٰ، كتسبيحِه، والتعبدِ له ليلًا ونهارًا بدونِ مللٍ ولا فتورٍ.

وقد يكونُ لبعضِهم أعمالٌ خاصةٌ.

مثلَ: جبريلَ الأمينِ علىٰ وحيِ اللهِ تعالىٰ، يرسلُه به إلىٰ الأنبياءِ والرسلِ.

ومثلَ: ميكائيلَ الموكلِ بالقطرِ؛ أيْ بالمطرِ والنباتِ.

ومثلَ: إسرافيلَ الموكلِ بالنفخِ في الصورِ عندَ قيامِ الساعةِ وبعثِ الخلقِ.

ومثلَ: ملكِ الموتِ الموكلِ بقبضِ الأرواحِ عندَ الموتِ.

ومثلَ: مالكٍ الموكلِ بالنارِ، وهو خازنُ النارِ.

ومثلَ: الملائكةِ الموكلين بالأجنةِ في الأرحامِ، إذا تمَّ للإنسانِ أربعةُ أشهرٍ في بطنِ أمِّه بعثَ اللهُ إليه ملكًا وأمرَه بكتبِ رزقِه، وأجلِه، وعملِه، وشقيٌّ أم سعيدٌ.

ومثلَ: الملائكةِ الموكلين بحفظِ أعمالِ بني آدمَ وكتابتِها، لكلِّ شخصٍ





ملكان: أحدُهما عن اليمينِ، والثاني عن الشمالِ.

ومثلَ: الملائكةِ الموكلين بسؤالِ الميتِ، إذا وضعَ في قبْرِه يأتيه ملكان يسألانه عن ربِّه، ودينِه، ونبيِّه.

ثمراتُ الإيمانِ بالملائكةِ:

الأولىٰ: العلمُ بعظمةِ اللهِ تعالىٰ، وقوتِه، وسلطانِه؛ فإن عظمةَ المخلوقِ من عظمةِ الخالقِ.

الثانيةُ: شكرُ اللهِ تعالىٰ علىٰ عنايتِه ببني آدمَ؛ حيثُ وكلَ من هؤلاء الملائكةِ من يقومُ بحفظِهم، وكتابةِ أعمالِهم، وغيرِ ذلك من مصالحِهم.

الثالثةُ: محبةُ الملائكةِ علىٰ ما قاموا به من عبادةِ اللهِ تعالىٰ.

قوله: (وَكُتُبِهِ):

الكتبُ: جمعُ (كتابٍ) بمعنىٰ (مكتوبٍ). والمرادُ بها هنا الكتبُ السماويةُ التي أنزلَها تعالىٰ علىٰ رسلِه رحمةً للخلقِ، وهدايةً لهم، ليصلوا بها إلىٰ سعادتِهم في الدارين.

الإيمانُ بالكتبِ يتضمنُ أربعةَ أمورٍ:

الأولُ: الإيمانُ بأن نزولَها من عندِ اللهِ حقًّا.

الثاني: الإيمانُ بما علمْنا اسمَه منها باسمِه كالقرآنِ الذي نزلَ علىٰ محمدٍ ﷺ، والتوراةِ التي أنزلَت علىٰ موسىٰ ﷺ، والإنجيلِ الذي أنزلَ علىٰ عيسىٰ ﷺ، والزبورِ الذي أوتيَه داودُ ﷺ، وأما لم نعلمْ اسمَه فتؤمنُ به إجمالًا.

الثالثُ: تصديقُ ما صحَّ من أخبارِها؛ كأخبارِ القرآنِ، وأخبارِ ما لم يبدلْ






أو يحرفْ من الكتبِ السابقةِ.

الرابعُ: العملُ بأحكامِ ما لم ينسخْ منها، والرضا والتسليمُ به، سواء فهمْنا حكمتَه أم لم نفهمْها، وجميعُ الكتبِ السابقةِ منسوخةٌ بالقرآنِ العظيمِ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [سورةُ المائدةِ، الآيةُ: ٤٨]؛ أي: حاكمًا عليه، وعلىٰ هذا فلا يجوزُ العملُ بأيِّ حكمٍ من أحكامِ الكتبِ السابقةِ.

ثمراتُ الإيمانِ بالكتبِ:

الأولىٰ: العلمُ بعنايةِ اللهِ تعالىٰ بعبادِه؛ حيثُ أنزلَ لكلِّ قومٍ كتابًا يهديهم به.

الثانيةُ: العلمُ بحكمةِ اللهِ تعالىٰ في شرعِه؛ حيثُ شرعَ لكلِّ قومٍ ما يناسبُ أحوالَهم، كما قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورةُ المائدةِ، الآيةُ: ٤٨].

الثالثةُ: شكرُ نعمةِ اللهِ في ذلك.

قوله: (وَرُسُلِهِ):

الرسلُ: جمعُ رسولٍ بمعنىٰ (مرسلٍ)؛ أي مبعوثٍ بإبلاغِ شيءٍ، والمرادُ هنا: مَن أوحي إليه من البشرِ بشرعٍ وأمرَ بتبليغِه.

والإيمانُ بالرسلِ يتضمنُ أربعةَ أمورٍ:

الأولُ: الإيمانُ بأن رسالتَهم حقٌّ من اللهِ تعالىٰ، فمن كفرَ برسالةِ واحدٍ منهم فقد كفرَ بالجميعِ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورةُ الشعراءِ، الآيةُ: ١٠٥].




الثاني: الإيمانُ بمن علمْنا اسمَه منهم باسمِه؛ مثلَ: محمدٍ وإبراهيمَ، وموسىٰ، وعيسىٰ، ونوحٍ، عليهم الصلاةُ والسلامُ، وأما من لم نعلمْ اسمَه منهم فنؤمنُ به إجمالًا؛ قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [سورةُ غافرٍ، الآيةُ: ٧٨].

الثالثُ: تصديقُ ما صحَّ عنهم من أخبارِهم.

الرابعُ: العملُ بشريعةِ من أرسلَ إلينا منهم، وهو خاتمُهم محمدٌ ﷺ المرسلُ إلىٰ جميعِ الناسِ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورةُ النساءِ، الآيةُ: ٦٥].

ثمراتُ الإيمانِ بالرسلِ:

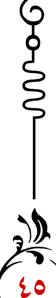
الأولىٰ: العلمُ برحمةِ اللهِ تعالىٰ وعنايتِه بعبادِه؛ حيثُ أرسلَ إليهم الرسلَ ليهدوهم إلىٰ صراطِ اللهِ تعالىٰ، ويبينوا لهم كيفَ يعبدونَ اللهَ؛ لأن العقلَ البشريَّ لا يستقلُّ بمعرفةِ ذلك.

الثانيةُ: شكرُه تعالىٰ علىٰ هذه النعمةِ الكبرىٰ.

الثالثةُ: محبةُ الرسلِ عليهم الصلاةُ والسلامُ وتعظيمُهم، والثناءُ عليهم بما يليقُ بهم؛ لأنهم رسلُ اللهِ تعالىٰ، ولأنهم قاموا بعبادتِه، وتبليغِ رسالتِه، والنصحِ لعبادِه.

قوله: (وَالْيَوْمِ الآخِرِ):

اليومُ الآخرُ: يومُ القيامةِ الذي يبعثُ الناسُ فيه للحسابِ والجزاءِ. وسمي



بذلك لأنه لا يومَ بعدَه، حيثُ يستقرُّ أهلُ الجنةِ في منازلِهم، وأهلُ النارِ في منازلِهم.

الإيمانُ باليومِ الآخرِ يتضمنُ أربعةَ أمورٍ:

الأولُ: الإيمانُ بالبعثِ: وهو إحياءُ الموتىٰ حينَ ينفخُ في الصورِ النفخةَ الثانيةَ، فيقومُ الناسُ لربِّ العالمين، حفاةً غيرَ منتعلين، عراةً غيرَ مستترين، غرلًا غيرَ مختتنين؛ قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [سورةُ الأنبياءِ، الآيةُ: ١٠٤]. والبعثُ حقٌّ ثابتٌ دلَّ عليه الكتابُ، والسنةُ، وإجماعُ المسلمين؛ قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورةُ المؤمنون: ١٥، ١٦].

الثاني: الإيمانُ بالحسابِ والجزاءِ: يحاسبُ العبدُ علىٰ عملِه، ويجازىٰ عليه، وقدْ دلَّ علىٰ ذلك الكتابُ، والسنةُ، وإجماعُ المسلمين؛ قالُ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [سورةُ الغاشيةِ، الآيتان: ٢٥، ٢٦].

الثالثُ: الإيمانُ بالجنةِ والنارِ، وأنهما مخلوقتان لا تفنيان، وهما الآن موجودتان، وأنهما المآلُ الأبديُّ للخلقِ.

الرابعُ: الإيمانُ بكلِّ ما يكونُ بعدَ الموتِ؛ مثلَ:

(أ) فتنةُ القبْرِ: وهي سؤالُ الميتِ بعدَ دفنِه عن ربِّه، ودينِه، ونبيِّه.

(ب) عذابُ القبْرِ ونعيمُه: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [سورةُ غافرٍ، الآيةُ: ٤٤].

ثمراتُ الإيمانِ بالبعثِ واليومِ الآخرِ:

١) يحملُ الإنسانَ علىٰ العملِ والاستعدادِ له.




٢) يمنعُه عن الكفرِ والمعاصي والظلمِ والعدوانِ والبغيِ والفسادِ.

قوله: (وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ):

أولًا: القدَرُ: هو تقديرُ اللهِ تعالىٰ الأشياءَ في القِدَم، وعلمُه سبحانَه أنها ستقعُ في أوقاتٍ معلومةٍ عندَه وعلىٰ صفاتٍ مخصوصةٍ، وكتابتُه سبحانَه لذلك، ومشيئتُه له، ووقوعُه علىٰ حسبِ ما قدرَها، وخَلْقُه لها.

ثانيًا: هل هناكَ فرقٌ بينَ القضاءِ والقدرِ؟

من العلماءِ من فرقَ بينَهما، ولعلَّ الأقربَ أنه لا فرقَ بينَ القضاءِ والقدرِ في المعنىٰ؛ فكلٌّ منهما يدلُّ علىٰ معنىٰ الآخرِ، ولا يوجدُ دليلٌ واضحٌ في الكتابِ والسنةِ يدلُّ علىٰ التفريقِ بينَهما، وقد وقعَ الاتفاقُ علىٰ أن أحدَهما يصحُّ أن يطلقَ علىٰ الآخرِ، معَ ملاحظةِ أن لفظَ القدرِ أكثرُ ورودًا في نصوصِ الكتابِ والسنةِ التي تدلُّ علىٰ وجوبِ الإيمانِ بهذا الركنِ، واللهُ أعلمُ.

اعلمْ وفقَك اللهُ لرضاه أن الإيمانَ بالقدرِ لا يتمُّ حتىٰ تؤمنَ بهذه المراتبِ الأربعَ، وهي:

١- مرتبةُ العلمِ: وهي الإيمانُ بعلمِ اللهِ المحيطِ بكلِّ شيءٍ الذي لا يعزبُ عنه مثقالُ ذرةٍ في السمواتِ ولا في الأرضِ، وأن اللهَ قدْ علمَ جميعَ خلقِه قبلَ أن يخلقَهم، وعلمَ ما هم عاملون بعلمِه القديم، وأدلةُ هذا كثيرةٌ منها قولُه تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾ [الحشرُ: ٢٢].

٢- مرتبةُ الكتابةِ: وهي الإيمانُ بأن اللهَ كتبَ مقاديرَ جميعِ الخلائقِ في اللوحِ المحفوظِ، ودليلُ هذا قولُه تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحجُّ: ٧٠].



٣- مرتبةُ الإرادةِ والمشيئةِ: وهي الإيمانُ بأن كلَّ ما يجري في هذا الكونِ؛ فهو بمشيئةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فما شاءَ اللهُ كانَ، وما لم يشأْ لم يكنْ، فلا يخرجُ عن إرادتِه شيءٌ؛ والدليلُ قولُه تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكويرُ: ٢٩].

٤- مرتبةُ الخلقِ: وهي الإيمانُ بأن اللهَ تعالىٰ خالقُ كلِّ شيءٍ، ومن ذلك أفعالُ العبادِ، فلا يقعُ في هذا الكونِ شيءٌ إلا وهو خالقُه؛ لقولِه تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافاتُ: ٩٦].

قال الشيخُ ابنُ سعدي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «إن اللهَ كما أنه الذي خلقَهم - أي الناسَ -، فإنه خلقَ ما به يفعلون من قدرتِهم وإرادتِهم، ثم هم فعلوا الأفعالَ المتنوعةَ من طاعةٍ ومعصيةٍ، بقدرتِهم وإرادتِهم اللتين خلقَهما اللهُ».

ومن لوازمِ صحةِ الإيمانِ بالقدرِ أن تؤمنَ:

- بأن للعبدِ مشيئةً واختيارًا بهما تتحققُ أفعالُه؛ كما قالَ تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكويرُ: ٢٨]، وقالَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرةُ: ٢٨٦].

- وأن مشيئةَ العبدِ وقدرتَه غيرُ خارجةٍ عن قدرةِ اللهِ ومشيئتِه؛ فهو الذي منحَ العبدَ ذلك وجعلَه قادرًا علىٰ التمييزِ والاختيارِ؛ كما قالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

- وأن العقلَ لا يمكنُه الاستقلالُ بمعرفةِ القدرِ؛ فالقدرُ سرُّ اللهِ في خلقِه، فما كشفَه اللهُ لنا في كتابِه أو علىٰ لسانِ رسولِه ﷺ؛ علمْناه وصدقْناه وآمنَّا به، وما سكتَ عنه ربُّنا آمنَّا به وبعدلِه التامِّ وحكمتِه البالغةِ، وألا ننازعَ اللهَ في أفعالِه وأحكامِه بعقولِنا القاصرةِ وأفهامِنا الضعيفةِ، بل نؤمنُ بعدلِ اللهِ التامِّ




وحكمتِه البالغةِ، وأنه لا يسألُ عما يفعلُ سبحانَه وبحمدِه.

﴿ والسؤالُ المشهورُ: هلِ الإنسانُ مسيرٌ أم مخيرٌ؟

ج: الإنسانُ مخيرٌ ومسيرٌ معًا، أما كونُه مخيرًا فلأن اللهَ سبحانَه أعطاه عقلًا وإرادةً فهو يعرفُ بذلك الخيرَ من الشرِّ، ويختارُ ما يناسبُه، وبذلك تعلقَتْ به التكاليفُ من الأمرِ والنهيِ، واستحقَّ الثوابَ علىٰ طاعةِ اللهِ ورسولِه، والعقابَ علىٰ معصيةِ اللهِ ورسولِه، وأما كونُه مسيرًا فلأنه لا يخرجُ بأفعالِه وأقوالِه عن قدرِ اللهِ ومشيئتِه؛ كما قالَ سبحانَه: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورةُ التكويرِ، الآيةُ: ٢٨، ٢٩]، وفي البابِ آياتٌ كثيرةٌ وأحاديثُ صحيحةٌ كلُّها.

[اللجنةُ الدائمةُ للبحوثِ العلميةِ والإفتاءِ].

المرادُ بقولِ النبيِّ ﷺ: «... **إذا ذُكِرَ القدرُ فأمسكوا**»، حديثٌ صحيحٌ.

﴿ النهيُ الواردُ منصبٌّ على الأمورِ الآتيةِ:

١- الخوضِ بالقدرِ بالباطلِ وبلا علمٍ وبلا دليل.

٢- الاعتمادِ في معرفةِ القدرِ علىٰ العقلِ البشريِّ القاصرِ بعيدًا عن هديِ الكتابِ والسنةِ، وذلك أن العقلَ البشريَّ لا يستقلُّ بمعرفةِ ذلك علىٰ وجهِ التفصيلِ.

٣- عدمِ التسليمِ والإذعانِ للهِ تعالىٰ في قدرِه، وذلك لأن القدرَ غيبٌ، والغيبَ مبناه التسليمُ.

٤- البحثِ عن الجانبِ الخفيِّ في القدرِ، الذي هو سرُّ اللهِ في خلقِه، والذي لم يطَّلعْ عليه ملكٌ مقربٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ، وذلك مما تتقاصرَ العقولُ عن






فهمِه ومعرفتِه.

٥- الأسئلةِ الاعتراضيةِ التي لا ينبغي أن يُسألَ عنها؛ كمن يقولُ متعنتًا: لماذا هدىٰ اللهُ فلانًا وأضلَّ فلانًا؟ ولماذا كلَّفَ اللهُ الإنسانَ من بينِ المخلوقاتِ؟ ولماذا أغنىٰ اللهُ فلانًا؟ وأفقرَ فلانًا؟ وهكذا.

أما من يسألُ مستفهمًا فلا بأسَ به؛ فشفاءُ العيِّ السؤالُ، أما من سألَ متعنتًا غيرَ متفقهٍ ولا متعلمٍ؛ فهو الذي لا يحلُّ قليلُ سؤالِه ولا كثيرُه.

٦- التنازعِ في القدرِ الذي يؤدي إلىٰ اختلافِ الناسِ فيه وافتراقِهم في شأنِه؛ فهذا مما نهينا عنه.

وقدْ ضلَّ في القدرِ طائفتان:

الأولىٰ: الجبريةُ: الذين قالوا: إن العبدَ مجبَرٌ علىٰ عملِه، وليسَ لهُ فيهِ إرادةٌ ولا قدرةٌ، ولا حريَّةٌ، ولا يُحَاسَبُ علىٰ أعمالِهِ!

الثانيةُ: القدريةُ: وهم أتباعُ معبدٍ الجهنيِّ وغيلانَ الدمشقيِّ، وأتباعُ واصلِ بنِ عطاءٍ وعمرِو بنِ عبيدٍ من المعتزلةِ ومن وافقَهم، هؤلاء هم القدريةُ، وهم الذين قالوا: إن العبدَ مستقلٌّ بعملِه في الإرادةِ والقدرةِ، وليسَ لمشيئةِ اللهِ تعالىٰ وقدرتِه فيه أثرٌ، ويقولون: إنَّ أفعالَ العبادِ ليسَتْ مخلوقةً للهِ، وإنما العبادُ هم الخالقون لها.

وأهلُ السنةِ وسطٌ بينَهما.

ثمراتُ الإيمانِ بالقدرِ:

الأولىٰ: الاعتمادُ علىٰ اللهِ تعالىٰ، عندَ فعلِ الأسبابِ بحيثُ لا يعتمدُ علىٰ السببِ نفسِه؛ لأن كلَّ شيءٍ بقدرِ اللهِ تعالىٰ.






الثانيةُ: أن لا يعجبَ المرءُ بنفسِه عندَ حصولِ مرادِه؛ لأن حصولَه نعمةٌ من اللهِ تعالىٰ، بما قدرَه من أسبابِ الخيرِ، والنجاحِ، وإعجابُه بنفسِه ينسيه شكرَ هذه النعمةِ.

الثالثةُ: الطمأنينةُ والراحةُ النفسيةُ بما يجري عليه من أقدارِ اللهِ تعالىٰ؛ فلا يقلقُ بفواتِ محبوبٍ، أو حصولِ مكروهٍ؛ لأن ذلك بقدرِ اللهِ الذي له ملكُ السمواتِ والأرضِ، وهو كائنٌ لا محالةَ.

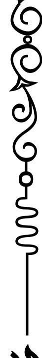
وقولُه: (**الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ**)، الإحسانُ ضدُّ الإساءةِ، وهو أن يبذلَ الإنسانُ المعروفَ ويكفَّ الأذىٰ، فيبذلَ المعروفَ لعبادِ اللهِ في مالِه، وجاهِه، وعلمِه، وبدنِه.

وقولُه: (**أركانُه: وله رُكْنٌ وَاحِدٌ، كما في الحديثِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**)؛ أيْ عبادةُ الإنسانِ ربَّه كأنه يراه، عبادةَ طلبٍ وشوقٍ، وعبادةُ الطلبِ والشوقِ يجدُ الإنسانُ من نفسِه حاثًّا عليها؛ لأنه يطلبُ هذا الذي يحبُّه، فهو يعبدُه كأنه يراه، فيقصدُه وينيبُ إليه ويتقربُ إليه.

«**فإن لم تكنْ تراه فإنه يراك**»؛ وهذه عبادةُ الهربِ والخوفِ، ولهذا كانَتْ هذه المرتبةَ الثانيةَ في الإحسانِ.

وقولُه: (**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحلُ: ١٢٨])؛ أيْ: إن اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ معَ الذين اتقوه بامتثالِ ما أمرَ واجتنابِ ما نهىٰ بالنصرِ والتأييدِ، ومعَ الذين يحسنون أداءَ فرائضِه والقيامَ بحقوقِه ولزومَ طاعتِه، بعونِه وتوفيقِه ونصرِه. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (**وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾



﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٢٠﴾ [الشعراء: ٢١٧- ٢٢٠])؛ أيْ: وفَوِّضْ أمرَك إلىٰ اللهِ العزيزِ الذي لا يغالَبُ ولا يُقْهَرُ، الرحيمِ الذي لا يخذلُ أولياءَه، وهو الذي يراك حينَ تقومُ للصلاةِ وحدَك في جوفِ الليلِ، ويرىٰ تقلُّبَك معَ الساجدين في صلاتِهم معَك قائمًا وراكعًا وساجدًا وجالسًا، إنه - سبحانَه - هو السميعُ لتلاوتِك وذكرِك، العليمُ بنيتِك وعملِك. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (وقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١])؛ أيْ: وما تكونُ - أيُّها الرسولُ - في أمرٍ مِن أمورِك وما تتلو من كتابِ اللهِ من آياتٍ، وما يعملُ أحدٌ من هذه الأمةِ عملًا من خيرٍ أو شرٍّ إلا كنا عليكم شهودًا مُطَّلِعينَ عليه، إذ تأخذون في ذلك، وتعملونه، فنحفظُه عليكم ونجزيكم به. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ)؛ كلُّ ما أضيفَ إلىٰ النبيِّ ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ.

والسنةُ الصحيحةُ حجةٌ بنفسِها، سواء كانَ الحديثُ متواترًا أو آحادًا، فيعملُ به عندَ السلفِ سواء في العقيدةِ أو الفقهِ.

وقولُه: (حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ)، قالَ عنه القرطبيُّ: «هذا الحديثُ يصلحُ أن يقالَ له: أمُّ السنةِ، لما تضمنَه من جملِ علمِ السنةِ».

وقالَ عنه النوويُّ: «واعلمْ أن هذا الحديثَ يجمعُ أنواعًا من العلومِ والمعارفِ والآدابِ واللطائفِ، بل هو أصلُ الإسلامِ».

وقولُه: (عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ




النَّبِيِّ - ﷺ - إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ - ﷺ -، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ، فَقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا»)، ومعنىٰ هذا أن من أشراطِ الساعةِ أن الأمةَ التي كانَتْ تباعُ وتشترىٰ تلدُ من يكونون أسيادًا وملوكًا، وقيلَ غيرُ ذلك.

وقولُه: (وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ)؛ أيْ تشاهدَ، «**الحفاةَ**» الذين لا نعالَ عليهم، «**العراةَ**» الذين لا ثيابَ عليهم، «**العالةَ**» الفقراءُ، «**رعاءَ**» أي: رعاةُ، «**الشاءِ**» أي: الغنمُ، قالَ ابنُ دقيقِ العيدِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما خصَّ رعاءَ الشاةِ بالذكرِ؛ لأنهم أضعفُ أهلِ الباديةِ، «**يتطاولون**» أي يتنافسون، «**في البنيان**»، ويتفاخرون به بعدَ أن كانوا فقراءَ، وهذه من نبوءات النبيِّ محمدٍ التي تحققَتْ، وانظرْ فقط إلىٰ الإماراتِ.

وقولُه: (قَالَ: فَمَضَىٰ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا) أيْ: وقتًا قليلًا.

وقولُه: (فَقَالَ: «يَا عُمَرُ؛ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلُ؟». قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ:



«هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم»)، متفقٌ عليه؛ أخرجَه البخاريُّ ومسلمٌ.

وقولُه: (الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ مُحَمَّدُ)، والنبيُّ - ﷺ - له عدةُ أسماءٍ، وقد وردَ عن جبيرِ بنِ مطعمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -؛ أن النبيَّ - ﷺ - قال: «**أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحىٰ بي الكفرُ، وأنا الحاشرُ الذي يحشرُ الناسُ علىٰ عقبِي، وأنا العاقبُ، والعاقبُ: الذي ليسَ بعدَه نبيٌّ**» متفقٌ عليه، وله أسماءٌ أخرىٰ، ولكنْ ليسَ من أسمائِه مصطفًىٰ أو يس أو طه كما يشاعُ.

وقولُه: (بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ)، ونبيُّ اللهِ إبراهيمُ له وصفان مشهوران:

الوصفُ الأولُ: فوصفُ الخليلِ، وهو مأخوذٌ من الخلةِ، وهي شدةُ المحبةِ، وليسَ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من خلقِه سوىٰ خليليه، فهما إبراهيمُ ومحمدٌ عليهما الصلاةُ والسلامُ.

الوصفُ الثاني: فهو أبو الأنبياءِ، وسببُ هذا الوصفِ أن أنبياءَ بني إسرائيلَ من سلالةِ إسحاقَ، وأما العربُ فمن سلالةِ إسماعيلَ، وهما ابنا إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولذلك قيلَ: أبو الأنبياءِ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فصحَّ الوصفُ واستقامَ.

وقولُه: (عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً)، عن عائشةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالَت: «توفِّيَ النبيُّ - ﷺ - وهو ابنُ ثلاثٍ وستين» متفقٌ عليه.

وقولُه: (مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون في النبوة. نُبِّئَ بـ(اقْرَأْ))؛




(نبئ): أيْ: خُبِّرَ؛ لأن أصلَ النبوةِ مأخوذةٌ من النبأِ؛ وهو الخبرُ.

وقولُه: (وَأُرْسِلَ بـ(الْمُدَّثِّر))؛ أيْ: بعثَ؛ لأن الإرسالَ معناه البعثُ والتوجيهُ.

وقولُه: (وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وهاجرَ إلىٰ المدينةِ. بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالدَّعوةِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر: ١ - ٧]. وَمَعْنَىٰ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ. ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾: الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا، أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ)، وهذه المدةُ وثلاثُ سنين أخرىٰ؛ كانَت في مكةَ، والرسولُ بدأَ الرسالةَ بالتوحيدِ، ولم يتكلمْ في شيءٍ غيرِ التوحيدِ، وعندَما هاجرَ إلىٰ المدينةِ أيضًا لم يتركِ التوحيدَ بلْ ظلَّ يعلمُ الناسَ التوحيدَ حتىٰ أتاه اليقينُ ﷺ، فيجبُ علىٰ الدعاةِ أن يبدءوا أيضًا بما بدأَ به رسولُنا ﷺ.

وقولُه: (وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ)، لا يعلمُ علىٰ اليقينِ ميعادُ الإسراءِ والمعراجِ، ولكنْ كانَت في أواخرِ عهدِه بمكةَ، وأسريَ بجسدِه ﷺ وروحِه جميعًا من المسجدِ الحرامِ علىٰ البراقِ إلىٰ بيتِ المقدسِ يقظةً لا منامًا، كما أخبرَ اللهُ عنه، ثم صعدَ به جبرائيلُ إلىٰ السماءِ علىٰ المعراجِ إلىٰ سدرةِ المنتهىٰ، فبلغَ من الارتفاعِ والعلوِّ إلىٰ ما اللهُ به عليمٌ، وكلمَ اللهَ بلا واسطةٍ، ولكن لم يره، فأوحىٰ إليه فرضيةَ الصلاةِ.

وقولُه: (وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّىٰ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ).





فرضَت خمسين، ثم لم يزلْ يطلبُ من ربِّه التخفيفَ حتىٰ صارَت خمسًا.

وقولُه: (وبعدَها أمرَ بالهجرةِ إلىٰ المدينةِ)، أمرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نبيَّه محمدًا ﷺ بالهجرةِ إلىٰ المدينةِ؛ لأن أهلَ مكةَ منعوه أن يقيمَ دعوتَه ويظهرَ دينَه ومَن آمنَ معَه.

وقولُه: (والهجرةُ: الانتقالُ من بلدِ الشركِ إلىٰ بلدِ الإسلامِ، والهجرةُ فريضةٌ علىٰ هذه الأمةِ من بلدِ الشركِ إلىٰ بلدِ الإسلامِ، وهي باقيةٌ إلىٰ أن تقومَ الساعةُ؛ والدليلُ قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧- ٩٩])؛ أيْ: إن الذين توفَّاهم الملائكةُ وقدْ ظلموا أنفسَهم بقعودِهم في دارِ الكفرِ وتركِ الهجرةِ؛ تقولُ لهم الملائكةُ توبيخًا لهم: في أيِّ شيءٍ كنْتم من أمرِ دينِكم؟ فيقولون: كنا ضعفاءَ في أرضِنا، عاجزين عن دفعِ الظلمِ والقهرِ عنا، فيقولون لهم توبيخًا: ألم تكنْ أرضُ اللهِ واسعةً فتخرجوا من أرضِكم إلىٰ أرضٍ أخرىٰ بحيثُ تأمنون علىٰ دينِكم؟! فأولئك مثواهم النارُ، وقبحَ هذا المرجعُ والمآبُ، ويعذرُ من ذاك المصيرِ العجزةُ من الرجالِ والنساءِ والصغارِ الذين لا يقدرون علىٰ دفعِ القهرِ والظلمِ عنهم، ولا يعرفون طريقًا يخلصُهم مما هم فيه من المعاناةِ. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (وقولُه تعالىٰ: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت، آية: ٥٦]، **قال البغوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، الملقبُ محيي السنةِ، أبو محمدٍ





الحسينُ بنُ مسعودٍ الفراءُ، صاحبُ التفسيرِ المسمىٰ «معالِمَ التنزيلِ» و«شرحِ السنةِ» وغيرِهما، المتوفىٰ سنةَ خمسِمائةٍ وستَّ عشرةَ سنة هجرية.

وقولُه: (سببُ نزولِ هذه الآيةِ في المسلمين الذين بمكةَ لم يهاجروا، ناداهم اللهُ باسمِ الإيمانِ. والدليلُ علىٰ الهجرةِ من السنةِ قولُه ﷺ: «لا تنقطعُ الهجرةُ حتىٰ تنقطعَ التوبةُ، ولا تنقطعُ التوبةُ حتىٰ تطلعَ الشمسُ من مغربِها» [صحيح أبي داود])، صححَه الألبانِيُّ وغيرُه.

وأما حديثُ ابنِ عباسٍ: «**لا هجرةَ بعدَ الفتحِ ولكن جهادٌ ونيةٌ**» متفقٌ عليه؛ فالمرادُ لا هجرةَ بعدَ فتحِ مكةَ منها إلىٰ المدينةِ؛ حيثُ كانَت مكةُ بعدَ فتحِها بلدَ إسلامٍ، أما ثبوتُ الهجرةِ من بلدِ الشركِ إلىٰ بلدِ الإسلامِ وبقاؤُها؛ فمعلومٌ بالنصِّ والإجماعِ.

وقولُه: (فلما استقرَّ بالمدينةِ أمرَ ببقيةِ شرائعِ الإسلامِ؛ مثلِ الزكاةِ والصومِ والحجِّ والجهادِ والأذانِ، والأمرِ بالمعروفِ، والنهيِ عن المنكرِ، وغيرِ ذلك من شرائعِ الإسلامِ. أخذَ علىٰ هذا عشرَ سنين وبعدَها توفيَ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، ودينُه باقٍ)، وهذا فيه إشارةٌ إلىٰ أن بقاءَ الدينِ ليسَ مرتبطًا بحياتِه ﷺ، وفيه أنه ﷺ توفيَ حقيقةً وفارقَت روحُه جسدَه، وهذا أمرٌ مجمعٌ عليه، ودلَّ عليه الكتابُ والسنةُ.

وقولُه: (وهذا دينُه، لا خيرَ إلا دلَّ الأمةَ عليه، ولا شرَّ إلا حذرَها منه)، في الصحيحِ، وفيه أن النبيَّ ﷺ قال: «**ما تركْت خيرًا يقربُكم إلىٰ الجنةِ ولا شرًّا يدخلُكم النارَ إلا بينْته لكم**»، وفي رواية: «**إلا دللْتكم عليه**».

وقولُه: (والخيرُ الذي دلَّ عليه التوحيدُ، وجميعُ ما يحبُّه اللهُ ويرضاه.





والشرُّ الذي حذرَ منه الشركُ، وجميعُ ما يكرهُه اللهُ ويأباه. بعثَه اللهُ إلىٰ الناسِ كافةً، وافترضَ اللهُ طاعتَه علىٰ جميعِ الثقلين)، والثقلان جمعُ ثقل، والثقلُ يطلقُ في لغةِ العربِ علىٰ الشيءِ النفيسِ الذي له قيمةٌ. فسميَ هذان الجنسان بهذا الاسم لمكانتِهما وشرفِهما، وقيلَ: لكثرتِهما، واللهُ أعلمُ.

وقولُه: (الجنِّ والإنسِ. والدليلُ قولُه تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف، آية: ١٥٨]، وأكملَ اللهُ به الدينَ؛ والدليلُ قولُه تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة، آية: ٣])؛ أيْ: اليومَ أكملْت لكم دينكم دينَ الإسلامِ بتحقيقِ النصرِ وإتمامِ الشريعةِ، وأتممْت عليكم نعمتِي بإخراجِكم من ظلماتِ الجاهليةِ إلىٰ نورِ الإيمانِ، ورضيتُ لكم الإسلامَ دينًا فالزموه، ولا تفارقوه. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (والدليلُ علىٰ موتِه ﷺ؛ قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١﴾ [الزمر، آية: ٣٠، ٣١])؛ أيْ: إنك -أيُّها الرسولُ – ميتٌ، وإنهم ميتون، ثم إنكم جميعًا - أيُّها الناسُ - يومَ القيامةِ عندَ ربِّكم تتنازعون، فيحكمُ بينكم بالعدلِ والإنصافِ. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (والناسُ إذا ماتوا يبعثون)؛ لا يقصدُ بقولِه: (الناسُ)، بني آدمَ فقطْ؛ بلْ يدخلُ فيهم الخلائقُ أجمعون، (يبعثون): البعثُ: هو إخراجُ الأجسادِ بعدَ كونِها باليةً ميتةً، والبعثُ الذي آمنَ به الرسلُ ودعوا أقوامَهم إلىٰ الإيمانِ به؛ هو بعثُ الأرواحِ والأجسادِ، خلافًا لما قالَته الفلاسفةُ.

وقولُه: (والدليلُ قولُه تعالىٰ: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً




أُخۡرَىٰ﴾ [طه، آية: ٥٥]. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾﴾ [نوح، آية: ١٧، ١٨])؛ أيْ: واللهُ أنشأَ أصلَكم من الأرضِ إنشاءً، ثم يعيدُكم في الأرضِ بعدَ الموتِ، ويخرجُكم يومَ البعثِ إخراجًا محققًا. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (**وبعدَ البعثِ محاسبون**)؛ خرجَت مخرجَ الغالبِ أو مخرجَ الأصلِ، ويخرجُ عن هذا الأصلِ السبعون ألفًا الذين يدخلون الجنةَ من غيرِ حسابٍ ولا عذابٍ، والحديثُ أَصلُه في الصحيحين، وقالَ جماعةٌ من أهلِ العلمِ: ومعَهم الأنبياءُ والرسلُ أيضًا، واللهُ أعلمُ.

وقولُه: (**ومجزيون بأعمالِهم؛ والدليلُ قولُه تعالىٰ:** ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ [النجم، آية: ٣١]، **ومن كذَّبَ بالبعثِ كفرَ**)؛ لأنه مكذبٌ للهِ ورسولِه؛ حيثُ إن القرآنَ دلَّ في آياتٍ كثيرةٍ علىٰ ثبوتِ البعثِ، فالذي يكذبُ بالبعثِ مكذبٌ بالقرآنِ، ومن كذَّبَ القرآنَ فهو مكذبٌ للهِ تعالىٰ؛ فيحكم بكفرِه، ومكذبٌ أيضًا للنبيِّ - ﷺ -؛ لأن النصوصَ ثبتَت عن الرسولِ - ﷺ - بوقوعِ البعثِ، وهو مخالفٌ لإجماعِ المسلمين.

وقولُه: (**والدليلُ قولُه تعالىٰ:** ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن، آية: ٧])؛ إذًا إنكارُ البعثِ هو من عقائدِ أهلِ الكفرِ، كما في الآيةِ.

وقولُه: (**وأرسلَ اللهُ جميعَ الرسلِ مبشرين ومنذرين**)؛ ويفهمُ منه أن الرسلَ دعوتُهم واحدةٌ وعقيدتُهم واحدةٌ، وهذا ما قالَه رسولُنا ﷺ: «**الأنبياءُ إخوةٌ لعلات أمهاتُهم شتىٰ ودينُهم واحدٌ**»، صحيحُ البخاريِّ، «**إخوةٌ لعلات**»: أيْ




أبوهم واحد وأمهاتُهم شتىٰ.

وقولُه: (والدليلُ قولُه تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء، آية: ١٦٥])؛ تفسيرُ الآيةِ: أرسَلْتُ رسلًا إلىٰ خَلْقِي مُبشِّرين بثوابِي، ومنذرين بعقابِي؛ لئلا يكونَ للبشرِ حجةٌ يعتذرون بها بعدَ إرسالِ الرسلِ. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (وأولُهم نوحٌ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ)، ودلَّ علىٰ صحةِ هذا القولِ ما جاءَ في الصحيحين من حديثِ الشفاعةِ الطويلِ، وفيه: «**أن الناسَ يأتون إلىٰ آدمَ** - عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ - **فيطلبون شفاعتَه فيحيلُهم إلىٰ نوحٍ** - عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ - **ويقولُ: اذهبوا إلىٰ نوحٍ؛ فإنه أولُ رسولٍ إلىٰ أهلِ الأرضِ**»؛ ففي قولِه: (أولُ)؛ إثباتٌ للأوليَّةِ في الرسالةِ فهو أولُ الرسلِ، والمسألةُ فيها خلافٌ عندَ الفقهاءِ والمفسرين، ولكن هذا الأقربُ للصوابِ، كما أن أولَ الأنبياءِ آدمُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

وقولُه: (وآخرُهم محمدٌ ﷺ؛ والدليلُ علىٰ أن أولَهم نوحٌ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛ قولُه تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء، آية: ١٦٣])؛ والآيةُ صريحة أن نوحًا أولُ المرسلين عليه وعلىٰ رسولِنا محمدٍ الصلاةُ والسلامُ.

وقولُه: (وكلُّ أمةٍ بعثَ اللهُ إليها رسولًا من نوحٍ إلىٰ محمدٍ يأمرُهم بعبادةِ اللهِ وحدَه، وينهاهم عن عبادةِ الطاغوتِ؛ والدليلُ قولُه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحلُ، آية: ٣٦])؛ أي: ولقدْ بعثْنا في كلِّ أمةٍ سبقَتْ رسولًا آمرًا لهم بعبادةِ اللهِ وطاعتِه وحدَه وتَرْكِ عبادةِ غيرِه من الشياطينِ والأوثانِ والأمواتِ وغيرِ ذلك مما يتخذُ من دونِ اللهِ وليًّا. [التفسيرُ الميسرُ].




وهذا هو العنوانُ والمضمونُ وملخصُ دعوةِ الرسلِ أجمعين، وأيضًا هذا هو أصلُ الأصولِ والغايةُ العظمىٰ التي من أجلِها خلقَنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ؛ «عبادةُ اللهِ واجتنابُ الطاغوتِ»، وهذه الحقيقةُ مكونةٌ من شيئين:

الشيءُ الأولُ: إثباتُ استحقاقِ اللهِ للعبادةِ دونَ سواه.

وأما الثاني: فالكفرُ بما سوىٰ اللهِ من الآلهةِ، ومن أتىٰ بأحدِ الأمرين ولم يجمعْهما؛ فليسَ بمؤمنٍ، فلا بدَّ من الإثباتِ ولا بدَّ من النفيِ.

وقولُه: **(وافترضَ اللهُ علىٰ جميعِ العبادِ الكفرَ بالطاغوتِ والإيمانَ باللهِ)**؛ فابتدأَ بالكفرِ بالطاغوتِ قبلَ الإيمانِ باللهِ؛ لأن الكفرَ بالطاغوتِ هو تخليةُ القلبِ وتصفيتُه وتخليصُه من كلِّ شرٍّ، ويعقبُ ذلك التحليةُ بالإيمانِ باللهِ عَزَّوَجَلَّ، فلا يستقيمُ الإيمانُ باللهِ عَزَّوَجَلَّ إلا إذا صفا القلبُ وخلصَ من كلِّ شائبةِ شركٍ وكفرٍ.

وقولُه: **(قالَ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ)**، ابنُ قيِّمِ الجوزيةِ (٦٩١ - ٧٥١هـ) هو الإمامُ محمدُ بنُ أبي بكرِ بنِ أيوبَ، أشهرُ تلميذٍ لابنِ تيميةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حيثُ تأثرَ به تأثرًا كبيرًا، له العديدُ من المؤلفاتِ في الأصولِ والتفسيرِ والفقهِ، نذكرُ منها: «إعلام الموقِّعين»، «زاد المعاد»، «مدارج السالكين»، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقولُه: **(الطاغوتُ ما تجاوزَ به العبدُ حدَّه من معبودٍ، أو متبوعٍ، أو مطاعٍ)**؛ هذا تعريفُ الطاغوتِ اصطلاحًا، وهو أحدُّ ما قيلَ في تعريفِ الطاغوتِ، وقد عرَّفَه جماعةٌ من العلماءِ بتعاريفَ أخرَ.

وأجمعُ ما قيلَ في تعريفِ الطاغوتِ أنه اسمُ جنسٍ لما يعبدُ من دونِ اللهِ، ولمن دعا الناسَ إلىٰ ضلالةٍ، سواء أكانَ هذا الداعي من الشياطينِ أم من الإنسِ.





وقولُه: **(والطواغيتُ كثيرةٌ، ورؤوسُهم خمسةٌ)**؛ أيْ: أعلىٰ ما يحصلُ به الطغيانُ ويصدقُ عليه وصفُ الطاغوتِ؛ خمسةُ أمورٍ، واعلمْ أن قولَه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (خمسةٌ)؛ ليسَ تحكمًا من قبلِ نفسِه، إنما هو بالتتبُّعِ وبالاستقراءِ، ويقصدُ به الرؤوسُ الكبيرةُ قطعًا.

وقولُه: **(إبليسُ)**؛ أولُ وأكبَرُ الطواغيتِ وأعظمُها شرًّا، وأخطرُها أمرًا، وأشدُها طغيانًا.

وقولُه: **(لعنَه اللهُ)**؛ والمطرودُ والمبعدُ عن رحمةِ اللهِ.

وقولُه: **(ومن عبدَ وهو راضٍ)**؛ بطلبٍ منه أو بغيرِ طلبٍ منه، وهو راضٍ عن هذه العبادةِ؛ فإنه طاغوتٌ.

وقولُه: **(ومن دعا الناسَ إلىٰ عبادةِ نفسِه)**، سواء أطاعوه أم لم يطيعوه، فإنه طاغوتٌ.

وقولُه: **(ومن ادعىٰ شيئًا من علمِ الغيبِ)**؛ كالمنجمين والرمالين ونحوِهم، وعلمُ الغيبِ: هو ما استأثرَ اللهُ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ به دونَ خلقِه من العلمِ، وهو نوعان: غيبٌ مطلقٌ؛ وهو لا يعلمُه أحدٌ إلا اللهُ.

وغيبٌ نسبيٌّ؛ وهو كلُّ ما غابَ عنا مما علمَه غيرُنا؛ فهو غيبٌ بالنسبةِ لنا، وعلمٌ بالنسبةِ لمن علمَه.

وقولُه: **(ومن حكمَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ)**، الحكمُ بما أنزلَ اللهُ تعالىٰ من توحيدِ الربوبيةِ، ومن لم يحكمْ بما أنزلَ اللهُ فهو طاغوتٌ، وقد يكونُ كافرًا، وقدْ لا يكونُ كافرًا، لكنه طاغوتٌ؛ لأنه تجاوزَ بهذا الحكمِ حدَّه، ومسألةُ الحكمِ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ؛ فيها تفصيلٌ بينَ أهلِ العلمِ كما هو معلومٌ.







وقولُه: (والدليلُ قولُه تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة، آية: ٢٥٦])؛ أيْ: لكمالِ هذا الدينِ واتضاحِ آياتِه لا يُحتاجُ إلىٰ الإكراهِ عليه لمن تُقبلُ منهم الجزيةُ، فالدلائلُ بينةٌ يتضحُ بها الحقُّ من الباطلِ، والهدىٰ من الضلالِ. فَمَن يكفرْ بكلِّ ما عُبِدَ من دونِ اللهِ ويؤمنْ باللهِ، فقدْ ثبتَ واستقامَ علىٰ الطريقةِ المثلىٰ، واستمسكَ من الدينِ بأقوىٰ سببٍ لا انقطاعَ له. [التفسيرُ الميسرُ].

وقولُه: (وهذا معنىٰ (لا إلهَ إلا اللهُ)، وفي الحديثِ: «رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُه الصلاةُ، وذروةُ سنامِه الجهادُ في سبيلِ اللهِ»)، أخرجَه الإمامُ الترمذيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقالَ عنه: (هو حديثٌ صحيحٌ حسنٌ)، وحسنَه الألبانِيُّ.

شرحُه:

(رأسُ الأمرِ الإسلامُ): أيْ أن لكلِّ شيءٍ رأسًا - أعلىٰ شيءٍ -، فرأسُ الأمرِ الذي جاءَ به محمدٌ ﷺ الإسلامُ.

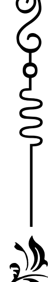
(وعمودُه الصلاةُ): وهذا دليلٌ بينٌ علىٰ عظمِ شأنِ الصلاةِ وأنها من الدينِ بهذا المكانِ العظيمِ، وأن مكانَها من الدينِ مكانُ العمودِ من الفُسطاطِ - الخيمةِ -، فهو قائمٌ ما وجدَ العمودُ، ولو سُحبَ العمودُ منه ما نفعَت الأطنابُ وسقطَ البيتُ علىٰ الأرضِ.

(وذروةُ سنامِه): الذروةُ هي أعلىٰ كلِّ شيءٍ، ومنزلةُ الجهادِ في الإسلامِ كذلِكَ.

واللهُ أعلمُ. وصلَّىٰ اللهُ علىٰ محمدٍ وآلِه وصحبِه وسلمَ.

اللهمَّ صلِّ وسلمْ وباركْ علىٰ محمدٍ وآلِه وأصحابِه وأتباعِه.

انتهىٰ شرحُ الكتابِ بفضلِ اللهِ وتوفيقِه.









الفهرس

مقدمة.. ٣

التعريف بالإمام... ٤

معنىٰ البسملة ٦

وقفات مع سورة العصر ٩

بعض صورة موالاة الكفار ١٤

معرفة الأصول الثلاثة ١٦

حكم الاستغاثة.. ٢٥

الإيمان بالله ٣٠

قواعد هامة لفهم الأسماء والصفات........................... ٣٥

الإيمان بالملائكة ٤١

الإيمان بالكتب ٤٣

الإيمان بالرسل ٤٤

الإيمان باليوم الآخر....................................... ٤٥

الإيمان بالقدر.. ٤٧

هل الإنسان مسير أو مخير؟! ٤٩

معرفة الرسول صلىٰ الله عليه وسلم............................ ٥٤





متن الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- متن مبارك، احتوى على مسائل عظيمة، شملت أبوابًا كثيرة من العلم وعلى رأسها الاعتقاد.

لا سيما الأصول الثلاثة التي يسأل عنها العبد في قبره، وهي أصول لا ينبغي أن يفوت تعليمها المسلم.

